المشرق

السنة الثلاثون — تشرين الاول ١٩٣٢

# الطقوس والطوائف

## في

## الكنائس الشرقية

للابوين يوسف موغان وفردينان توتل اليسوعيين

## ١

## توطئة

اخذ مجمع الكنائس الشرقية المقدس يُعنى بتدوين الحق القانوني الكنائسي للطوائف الشرقية وطقوسها ، فاتجهت جهود الكتبة والدارسين الى تلك الناحية من العلوم الدينية ، واشتدت ، في المدارس الاكليريكية ، عزائم الاساتذة والطلاب في مواصلة البحث عن هذا الموضوع الخطير. وان ادارة الدروس الاكليريكية في كلية القديس يوسف مهتمة ، منذ سنين عديدة ، اهتماماً خاصاً بالمسائل المتصلة بحياة الكنائس الشرقية ، المساعدة على حسن التفاهم ، وعلى التقارب بين المسيحيين الشرقيين والكرسي الرسولي ؛ ففتحت في معهدها اللاهوتي منهجاً واسعاً لدرس الشؤون الطائفية والطقسية.

من الدروس التي القاها الاب يوسف موغان اليسوعي ، استاذ اللاهوت الادبي والحق القانوني في اكليريكية كلية القديس يوسف ، نتج كتاب طُبع باللاتينية طبعةً حجرية ،

باسلوب مدرسي محض، وهو آلة للبحث، ومورد لذاكرة التلاميذ في مراجعة الدروس التي سمعوها، وفيه من المنافع والفوائد ما يعزّ وجوده في اللغات الاجنبية فضلًا عن العربية. وهو حقيق بان يتداوله لا طلاب المدارس فحسب بل كل كاهن متنوّر وعلماني مثقّف، غيور على معرفة شؤون الطوائف واصولها. فاقتطعنا منه ما رأيناه، بالاتفاق مع المؤلف، صالحًا للنشر، وعرّبناه تعريبًا مخالفًا بعض المخالفة اصله اللاتيني، اذ جرّدناه، ما امكن، من صبغته المدرسية المحضة والبناء الحلة التي لا بدّ منها ليروق اعين القراء، متوسّعين ببعض البنود الواجب شرحها لتقريبها من العامة، موجزين ببعض الشروحات المتفاضلة، وغرضها جدلي لا غير، مقدمين في اوائل الكتاب ما اخره فيه المؤلف، مؤخرين فيه ما قدّمه، طبقًا لما رأيناه موافقًا لحسن التنسيق ورونق الانشاء.

على ان فكرة المؤلف المبتكرة لم تتغير، ولم يظهر منها، في الطبعة العربية، الا ما اطّلع عليه حضرة الاب موغنان بذاته ورآه موافقًا صميم آرائه.

هذا تنبيه لا بد منه ليكون القارئ على بصيرة من صحة نسبة المقال الى صاحبي التوقيع. فيعود لكل ذي حق حقه. الاب فردينان توتل اليسوعي

***

اذا ما قابلنا بين حالة المسيحيين كما كانوا على عهد الرسل، وهم روح واحدة وقلب واحد مشتركون بقسمة الخبز، وحالتهم كما هم الآن في العالم موزعون بين طوائف وملل شرقًا وغربًا، لا يسعنا الا السؤال كيف نشأت تلك التنوّعات حتى ضمن الكنائس الكاثوليكية المتحدة مع الحبر الروماني بايمان واحد؟ وقد ينال سؤالنا هذا، فيما يخص الكنائس الشرقية، اهمية عظيمة، لان امر الطائفية في بلادنا أسّ من اساسات الحياة الاجتماعية فضلًا عن الدينية؛ والطائفية تسود في الانتخابات وفي توزيع الوظائف العمومية، ولها حقوقها المرعية اليوم في جملة حقوق الاقليات في جمعية الامم كما كانت مرعية الامس على عهد بني عثمان. ورب قاعدة من قواعد الشرق كحلب وبيروت ومصر ضمّت في حدودها الكنائسية جماعات من المؤمنين الكاثوليكيين الذين يحق لهم ان يتناولوا جسد الرب من مائدة خلاصية واحدة، وهم مع ذلك ينتمون كل جماعة الى رئيسها، ولها كنيستها، وكهنتها، ولغتها وتقاليدها وحقوقها العامة والشخصية، انما هي وحدة الايمان بتنوّع الطقوس والطوائف.

ولا حاجة الى تعداد تلك الطقوس والطوائف، والقارئ اللبيب يعرفها. وسوف يأتي الكلام عليها مفصلًا، وهي كلها تنتمي الى اصل واحد وهو الدين

الذي أسسه السيد المسيح على الارض.

ولا يخفى ان هذا الدين كان واحداً في عقائده وفي طقسه. ان امر العقائد لا يدخل في موضوع كلامنا الآن، وما همنا الا الطقوس كيف تفرّعت من اصلها ونشأت وتعددت، ونالت ما نالته من الاهمية حتى صار الاحبار الاعظمون يسنّون الشرائع في سبيل حفظها وصيانتها واصبح من واجب الرعاة والمؤمنين ان يدرسوا تقاليدها ويسلكوا بموجبها؟

ان البحث لا يوفي الموضوع حقه الا باستقصائه من اصله، والسؤال عن معنى كلمة الطقس والطائفة. وهذا السؤال يؤدي الجواب عليه فرصةً لمباحث نظرية ينتج منها فوائد لا تاريخية فقط، تلبية للمطلوب، ولكن ادبية وعملية ايضاً، لانها تفسّر لنا خطة الكنيسة في معالجة شؤون الطقوس وتساعدنا على ان نسلك تلك الخطة بارشادها من غير افراط ولا تفريط في التمسك بالمبادي والعمل بها.

ما معنى لفظة الطقس في اصلها اللاتيني؟ - كيف تطورت ورادفت معنى الطائفة او الكنيسة في بلاد الشرق؟ - كيف استقلت كل كنيسة او طائفة عن غيرها حتى صارت قوميات عديدة ضمن منطقة واحدة؟

ان الجواب على سؤالاتنا الثلاثة هذه، يكون موضوعاً لمقالنا اليوم.

## ١

## الطقس ومعناه وتحديداته

من يؤدي لنا معنى الطقس بعرفه الكنائسي الكامل؟ اذا عمدنا الى معجم اللغة العربية قرأنا التحديد التالي: الطقس معناه الطريقة، وغلب على الطريقة الدينية، وهو لفظة نصرانية دخيلة.

وهذا التحديد لا يروي غليلاً لانه لا يميز بين طريقة وطريقة. ولا بد من البحث على معنى لفظة «طقس» في عرف النصارى واستعمالها الشائع بينهم، وعلى الاخص في آثار احبارهم ومعلميهم وذلك في حياة الكنيسة، وفي وثائق الكرسي الرسولي، ورسائل البطاركة.

## معنى الطقس في حياة الكنيسة

فان انعمنا النظر في حياة الكنيسة رأينا فيها رتباً مقدسة كرتبة العماد، وسمعنا فيها اقوالاً، وشاهدنا فيها اعمالاً واشارات ترافق الرتب المذكورة، والمسيحيون يسمونها طقساً.

واذا سرّحنا رائد البصر في كل كنيسة من الكنائس وجدنا فيها رتباً مقدسة خاصة بها، هي عبارة عن الرسوم الموضوعة للقيام بواجب العبادة العمومية. وهذه ايضاً يدعوها المسيحيون طقساً: هناك، مثلاً، الطقس الليوني، نسبةً الى مدينة ليون في فرنسة؛ والطقس الميلاني، نسبةً الى ميلانو في ايطالية. واذا شملنا بنظرنا كنائس عديدة وقابلنا بين رتبها او طقوسها ظهر لنا الطقس بظاهرة جديدة. فانه تارة يفيد الرتب التي لا تصطبغ بصبغة نظامية متعلقة بالاحوال الشخصية المدنية، كالطقس الليوني المذكور آنفاً، والطقس المستعرب (Mozarabique) المنسوب الى البلاد الاسبانية التي عاش مسيحيوها تحت الحكم العربي في القرون الوسطى؛ وطوراً يفيد الرتب او ظاهرات العبادة العمومية المتعلقة بنظام ما كنائسي مؤثر في احوال الاشخاص المنتمين اليه، كالطقس الماروني او الارمني.

وان المقابلة بين الكنائس اللاتينية والشرقية خاصة تكشف لنا على طقوس لا تختلف بعضها عن بعض الا في الرتب المقدسة، وتبقى موافقة بعضها بعضاً في الانظمة والفرائض كالطقس الليوني والطقس الميلاني في الكنيسة اللاتينية؛ وترينا طقوساً تختلف فيها الانظمة والفرائض كما هي الحالة في الطقس اليوناني او البيزنطي والطقس الارمني والطقس القبطي، في الكنيسة الشرقية.

فان شئنا ان نطابق على الطقس تحديداً شاملاً معانيه بتمامها قلنا، وكان قولنا التحديد العلمي الواجب الاصطلاح عليه بين اللاهوتيين: ان الطقس هو ترتيب الرتب (او الليتورجية) المقدسة المرتبط بنظام ما.

فالليتورجية، او فرائض الخدمة والعبادة الرسمية في بيعة الله هي كالعنصر الاولي والاصلي المكوّن منه الطقس؛ اما النظام المرتبط بها، فهو لاحق لها،

وهو كعنصرها الثانوي. ومن ثم يبدو حالًا الفرق بين العنصرين، وكل واحد في مرتبة غير مرتبة صاحبه، ولكل واحد خواصّ غيرَ خواصّ الثاني. فالرتب يعسر جدًّا تغييرها؛ اما النظام، وان يكن غير التغيّر، فهو اقل منعة من الطقس دون التغير، اذا ما مست الحاجة الى ذلك في ظروف الزمان والمكان.

## مبنى الطقس في تعليم الكرسي الرسولي

لم يعالج الكرسي الرسولي المسألة التي نحن في صددها مباشرة وخاصة. لكنه وضع اركان التعليم الكاثوليكي فيها، لما تكلم عليها عرضاً في مراسلاته مع الشرق.

في ٢٤ شباط سنة ١٨٧٠ وجه البابا بيوس التاسع رسالة الى السيد انطوان يوسف تيانو، القاصد الرسولي في القسطنطينية، ليذيعها الى الكنيسة الارمنية الكاثوليكية: قال:

« يجب ان ينبه الارمن وسائر ابناء الطوائف الشرقية الى الفرق العظيم الموجود بين الرتب الكنائسية (*rites*) وبين انظمتها (*discipline*)؛ لان الخلط في الامرين كثيراً ما يؤدي الى الالتباس والاضطراب في عقولهم وقلوبهم، ويثير فيهم عواطف التضجر والتذمر على الكرسي الرسولي. وسرعان ما يغتنم اعداء الكرسي الرسولي كل فرصة سانحة لتذكية نار تلك العواطف ووضع العوائق دون ارادة الاب الاقدس وتحقيق امانيه الخلاصية في سبيل الكنائس الشرقية.

« اننا، مع كل الذين سبقونا على هذا الكرسي الرسولي، اعلنا ارادتنا بوجوب المحافظة على الطقوس الشرقية، في كل ما ليس فيها مناقضاً للايمان وللوحدة الكاثوليكية او للآداب الكنائسية ولياقتها. لكن تلك المحافظة لا تحول دون ان يتمّ حسن التنسيق في نصّ القوانين الكنائسية النظامية، لكي تكون موحدة في اهم ابوابها، على ان تسترد قوامها السابق، بعد ما تكون قد تزعزعت وضاعت على مدى الايام »:

## معنى الطقس في اقوال الاحبار الشرقيين

ان اقوال الاحبار الشرقيين على اختلاف لغاتهم وتنوّع الرسائل التي ارسلوها الى رومة في شأن الطقوس لمما يأتي مصداقاً لقولنا السابق في معنى الطقس وتحديده، والتمييز بين الرتب والانظمة

في ١٨ مارس ١٨٧٠ ارسل الاساقفة الروميون الى المجمع الفاتيكاني معروضاً غرضه الشؤون الطقسية[1] قسموا فيه النظام اربعة اقسام: ١ً نظاماً طقسياً؛ ٢ً نظاماً قانونياً شاملاً الاكليروس والعلمانيين معاً؛ ٣ً نظاماً خاصاً ببعض الاحوال؛ ٤ً نظاماً عادياً او مألوفاً.

١ً فالنظام الطقسي، موضوعه الاحتفال بالقداس الالهي واقامة الصلاة الرسمية، ومنح الاسرار وسائر الرتب المعهودة في الكنيسة اليونانية. قالوا فيه: انه يجب ان لا يطرأ عليه تغيير لانه يرتقي الى عهد الرسل وتقاليد الآباء، واستشهدوا على قولهم كلام القديس باسيليوس.

٢ً والنظام القانوني، او الموضوع للاكليروس والعلمانيين معاً، هدايةً لهم في طريق الصلاح؛ قالوا فيه: ان بنوده، اذا حفظت، ادّت بحافظيها الى ذرى القداسة، فما من حاجة الى التغيير فيها.

٣ً والنظام الخاصّ ببعض الاحوال، وموضوعه النقائص العارضة في بعض الاحوال الرهبانية او الكنائسية ضمن مقاطعات محدودة ولاشخاص معيّنين؛ قالوا فيه: ان كان ولا بد من ادخال التغيير فيه، فيكفي ان ينال التغيير البقعة من الارض المذكورة، او الاشخاص المذكورين، بواسطة مجمع محلي.

٤ً والنظام المألوف اي المدوّن، لا في الكتب ولكن في العوائد الجارية بين المؤمنين، قالوا فيه: انه من الواجب ان يتبع فيه مثال الكنيسة الرومانية، فتراعى الظروف الجديدة الغير المألوفة في العوائد القديمة والجديرة بان تنبه خواطر اولياء الامر الى ضرورة الاصلاح والتجديد. وخذ لك في ذلك مثلاً نظام الدواوين القانونية، والمدارس الاكليريكية وغيرها، والمستشفيات الخ الخ.

---

١) راجع مجموعة مانسي: ٥٣، ص ٦٢٢.

وختموا كلامهم معربين عن رغائبهم بالّا يحدث تغيّر في الطقس ولا في نظام الكنيسة اليونانية ، لكي لا يصيروا هدفاً لاعتراضات الاخوة المنفصلين وانتقاداتهم .

وان كلام الاساقفة الروميين بيّن الرابطة بين الطقس في معناه الاصيل ، وبين عنصر من عناصر النظام الممكن ان تتغير من دون ان يتغير الطقس في صميمه ، ومن امثال ذلك التغييرات الممكن احداثها في نظام الامتيازات والوظائف والرتب الخ ... وهي محفوظة في بعض الكنائس ومهملة في غيرها . ولهذا الامر ايضاً تشهد اقوال بطاركتنا الشرقيين ، ولا شك ان القارئ يشتاق الى سماعهم ، ولنا في الاعادة افادة .

اليك ما كتبه البطريرك غريغوريوس يوسف ، السعيد الذكر ، في ١٢ ايار ١٨٦٦ الى الكردينال رئيس مجمع انتشار الايمان ، وقد عربنا كلامه عن الايطالية اخذاً عن مجموعة مانسي (٤٩ : ٢٠٠) .

« ان الكنيسة الشرقية في حاجة الى الاصلاح وذلك من وجوه عدة اهمها البنود التالية : قلة نظام الرهبانيات ؛ سلوك المرسلين اللاتين بالطوائف الشرقية طريقة تمس بحقوقها ؛ الجهل في السواد الاعظم من الاكليروس ؛ عدم وجود حق قانوني خاص ومناسب لعوائد كل طائفة من الطوائف لان القوانين القديمة مهملة ملغاة وممارستها غير ممكنة والحكم في الكنيسة الشرقية اصبح قيد الاستبداد ، والقانون صار هدفاً لمخالفات شتى .

وان هذه النقائص متغلغلة في جسم الطائفة وفي حياتها وماسة بالنظام ، فلا بد من اجراء بعض التغييرات في الاحوال الحاضرة لبلوغ المآرب من الاصلاحات المنشودة .

فكلام البطريرك غريغوريوس يوسف مصداق اذن للقول السابق المميّز بين الطقس والنظام .

وبالمعنى ذاته تكلم السعيد الذكر اغناطيوس فيلبس عركوس ، البطريرك السرياني الانطاكي ، في رسالته الى الكردينال ذاته (٢٦ آب ١٨٦٦) . فقد وصف الاضرار اللاحقة برعاياه من جراء الدعاية البروتستانية وغيرها ، وسأل

التسلح عليها بالسلاح ذاته الذي هاجمت به القطيع المسيحي، اعني بطبع الكتب الدينية، وفتح المدارس والمستشفيات، وغير ذلك مما لا يمكن احداثه من غير احداث تغيير في النظام الكنائسي الحالي.

وكذلك السيد انطونيوس حسون، جاثليق الارمن، في رسالته الى الكردينال المؤرخة من القسطنطينية في ٢٥ آذار ١٨٦٦. فقد كشف على امراض النفوس الروحية: روح الماسونية، الاضاليل العصرية الخ. ثم دعا الى معالجتها بالوسائل المستحدثة في التعليم وفي الانظمة الكنائسية. ذلك مما دلّ على اعتقاده امكان ادخال بعض التغييرات في النظام.

وان الفرق الموجود بين الطقس والنظام بيّن من طبيعة الامر ومن غاية وجودهما في الكنيسة. تلك الغاية انما هي خلاص النفوس. فان كان النظام غير قابل التغير البتة، وبقاؤه واجب كبقاء الطقس بمعناه الاصلي، تعذّر تدبير الكنيسة على رؤسائها وعلى من عهد اليهم بامورها الروحية والزمنية طبقاً للاحتياجات العصرية ولتقلب الاحوال في الزمان والمكان. وقد يصح غالباً في الكنائس الشرقية عامة، الكلام الذي قاله البطريرك غريغوريوس يوسف على الكنيسة الملكية خاصة، وعدم وجود حق قانوني تقيد به. فان كان احداث التجدد في النظام غير ممكن، فكيف الوصول الى وضع القانون؟ وقد علّمت الخبرة ان عدم مجاراة الظروف في احكامها، عند حدوث الحوادث الجديدة، يؤدي الى اضرار جسيمة. والشاهد في ذلك كثرة الدعاوي الناتج عنها فسخ الزواج، وزيادة حوادث مخالفة شرائع الصوم والقطاعة وحفظ الاعياد؛ والتصرف المطلق، في بعض الاحيان، بالسلطة الكنائسية من غير قيد ولا شرط.

هذا من امر الطقس ومعانيه وتحديداته والنتائج الصادرة من ذلك؛ على ان في بلادنا طقوساً عديدة. فكيف نشأت؟

(لها بقية)

# لبنان في عهد الامير فخر الدين

## منذ ثلاثمائة سنة

١٥٩٠ – ١٦٣٥

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
مؤلف تاريخ الأسر الشرقية

٢

## عودة المعني الى الوطن

ففاوض فخر الدين الغرندوق ، واخبره بشوق والدته اليه والى اهل بيته ، واستأذنه بالسفر . فلما رأى الحاحه اذن له ، بعد اخذ وردّ كثير ، فسافر الى البلاد ، ونزل في عكا في ٩ شوال من سنة ١٦١٧ ، بعد غياب نحو خمس سنوات عاد فيها مرةً سراً ورجع الى بلاد غربته . فلما علم الناس بقدومه ساروا مواكب بمهرجان عظيم لاستقباله . فوصل دير القمر . وبقيت الوفود تأتي اليه شهوراً من كل فجّ وصقع حتى اطراف البلاد ، حاملين اليه الهدايا مستبشرين به خيراً ، وكان بين الحشد كثيرون ممن اتخذوا الرياء ديدنهم ، وبينهم آل سيفا الذين رفض هديتهم وصرّح لهم باستيائه منهم لحرق داره بغيابه . فاضمروا له الشر .

وعاد المعني لاستمالة الدولة العثمانية في الاستانة بسفراء مخلصين ، فوثقت باخلاصه رغم الوشايات الكثيرة به . ولكنه اخذ يقتصّ من اعدائه ويضايقهم ، وبينهم آل سيفا الذين هدم بعض حصونهم وبيوتهم في طرابلس وعكار . وهكذا امتدت سلطته من انطاكية الى الكرمل . ونال لقب « سلطان البرّين » مثل جده لابيه فخر الدين الاول . وشرع في التحصين والتعمير وعقد المعاهدات وترويج التجارة ، فاثرى من مشاريعه الاقتصادية ، وعمّ العمران بلاده حتى

صار دخل خزينته السنوي نحو تسمائة الف ليرة ؛ كان يرسل منها الى الخزينة السلطانية ثلاثمائة واربعين الف ليرة . وتمكن بدربته ودرايته وما بذله من العناية بالتجنيد والتعبئة على الطرق الفنية في ايامه أن يجمع في اثناء عشرة ايام عشرة آلاف جندي مدرّب او اكثر ، فوق ما كان عنده من السكان المرابطين في الثغور ، وهم اكثر من الف رجل . وكثر عنده القواد والاطباء والمهندسون والبناؤون والصناع وغيرهم من التوسكانيين والمسيحيين الوطنيين وسواهم كان يراقبهم بنفسه.

فعدل في احكامه وأمّن الطرق ونشر العمران . ولكنه ارهق البلاد بالضرائب . فكثّر موارد الحكومة العثمانية واسترضى رجالها بهداياه وتقادمه الكثيرة حتى تضايقت الرعية منه . ولضبط اعماله اتخذ سجلّين : احدهما يدوّن فيه اسماء سكان ولاياته محصياً اعمارهم وصفاتهم ومعارفهم وشؤونهم . وثانيها يدوّن فيه عدد الاشجار المثمرة وكروم العنب وشجر التوت ، متقاضياً عن الناس الخرج وعن الاشجار الخراج . وكان ينتهز فرصة فراغه من اعماله السياسية والادارية فيرصد ساعات خاصة لمراجعة هذه القيود ، وضبط الحسابات ، والتدقيق في الدخل والخرج ، ناظرًا بدقة الى كل عمل بعين نقادة وفكر مدقق، قاتلًا نهاره ومحياً ليله في انجاح رعيته وحفظ مركزه وتكثير ثروته.

## معارفه وحبه للعمران

ولم يكن هذا الحاكم اليَقِظ النابغة الداهية مقتصرًا على هذا فقط ، بل كان يحب العلوم واقتباس المعارف ، مقرّباً اليه الكتّاب والشعراء ، مجزلًا لهم الصلات ، مولعاً بعلم الكلام ( اللاهوت ) ومحباً للمباحث الكيماوية والتصوير ، ومهتماً بالادوية المفردة ، حتى استخدم لذلك مصورًا افرنسياً رسم له نحو الف وخمسمائة نوع من النباتات بصفاتها والوانها وخواصها . وكثيرًا ما كان يقترح على العلماء والمهندسين والشعراء مواضيع يجيدون بها في تلبيته،من ذلك انه اقترح على صديقه المطران جرجس عميره ، اسقف اهدن الماروني الذي صار بطريركاً ، ان يؤلف له كتاباً في هندسة الابنية ؛ وجمع بعضهم مدائحه في اكثر من مائة

صفحة ذكر المحبي في خلاصة الاثر انه رآها واخذ منها . والف النجم النزي رسالة في المعني والحاج كيوان في بعلبك وقتله اياه . ولم نقف على شيء من هذه الكتب مع كثرة تنقيبنا عنها . ومثلها كتاب مجموع الاحزان في مراثي الامير قرقماس المعني والد فخر الدين اما كتاب الشيخ احمد الخالدي الصفدي في الامير وحوادثه ووصف رحلته الى اوربة وما شاهده فيها فقد ظفرت باكثر من نسخة منه نقلتُ معظمها الى مجلتي الآثار

وعرَّب فخر الدين رواية ماتيلده عن الايطالية . وقال الاب اوجين في الصفحـة ٢٩٣ من كتابه « الارض المقدسة » الذي ذكر فيه زيارته للمعني : ان فخر الدين اوقفه على كتاب الفه في تاريخ اسرته المعنية . فنقل منه فقرة. ولم نعلم شيئاً عن هـذين الكتابين . لان اوراق المعني وموجوداته صادرتها الحكومة على اثر القبض عليه ، ونقلتها الى الاستانة ، وصادرت جميع مريديه فهرب الخوازنة الى توسكانة وضبطت اوراقهم.

ولتسهيله سبل التجارة لـلافرنج زاره في ايام حكمه المغاربة واليونان واليهود فضلاً عن الافرنج فسكنوا الثغور البحرية ، وامتدت فيها تجاراتهم متصلة بالمدن الداخلية والساحليـة الى العراق والهنـد وآسية الصغرى وبلاد العرب ، ومصر والمغرب الى جزر البحر المتوسط والارخبيـل . فربطت الشرق والغرب بعلاقات مهمة حملت كثيراً من سكان بلادنا على المهاجرة الى توسكانة وما اليها ، كما جلبت كثيرين من سكان تلك الجهات الى بلادنا فتدّيروهـا وبقيت سلائلهم فيها . ووثق عرى المعـاملة مع البنوك (المصارف) . واقتنى مركبين حربيين استعملها للتجارة ايضاً ، كان فيها خمسون بنـدقياً من بيروت، ورفع تعدي القرصان عن المراكب.

اما الزراعة فانه اعتنى بها ، وبتربية المواشي ، وتوفير الخصب بالذرائع الفنية . وكان اول من شرب الدخان (التتن) بالغليون ، وادخل زراعة التبغ الى بلادنا، وكذلك الرز ، والقطن ، ولا يزال اسم « المقطنة » و« مرج القطن » في دير القمر دليلاً على حلجه وزراعته . وعزّز تربية دود الحرير وحلّ فيالجه ( شرانقه ) ؛ وزراعة القنّب ، واتخاذ الخيوط والحبال منها . وتجفيف المستنقعات ، وتشييـد

الجسور، وجرّ المياه، وغرس الاشجار، ولاسيما في غاب الصنوبر في بيروت وحدائقها الآتي بيانها.

وادار نظره الى الصناعة فاكثر من معامل الصابون، ومعاصر الزيت والعنب، ومشاغل النسج، ودواليب حلّ الحرير، فضلاً عن الصناعات الوطنية كالنجارة والحدادة والصياغة والبناء. فكلف بتشييد الابنية على طراز شرقي او توسكاني وروماني. ومن آثاره العظيمة خان الافرنج في صيدا الذي فيه مائة غرفة[1] وكذلك ابنية دير القمر كالخرج وغيره، وابنية صيدا، وكلها لا تزال عامرة.

اما بيروت فقد نُقض آخر قصوره فيها في السنة الماضية كما كتبت عن ذلك في الصحف، آسفاً لهدم آخر قصر للمعني تحته اصطبل الخيول وهو بين نزل (لوكندة) ساڤوى والفندق العربي الى غربي قصر الحكومة، في آخر ساحة البرج لجهة البحر، حيث يبني محل قصر المعني الآن عبود بك عبد الرزاق العكاري، نائب طرابلس، محلات تجارية، ومن العجيب ان يكون المعني قد هدم قصور آل سيفا في عكار وجلب بعض حجارتها الى دير القمر. والان يأتي رجل من عكار فيهدم آخر ابنيته في بيروت...

## ابنية وحدائق في مدينة بيروت

كل من يمر اليوم «بساحة البرج» التي سميت اخيراً «ساحة الشهداء» يمكنه ان يتصور ان كل هذه الفسحة مع ما حولها من الابنية كانت حديقة للحيوانات وابراجاً وقصوراً واصطبلات للخيول ومرابض للاسود وقواعد للتماثيل، وذلك عندما اتخذ المعني بيروت قاعدة لحكمه سنة ١٦٣٢. فكان هو يعمّر ونحن اليوم نخرّب آثاره بعد ثلاثمائة سنة.

ولكي اصوّر لكم ابنيته وحدائقه اعرّب لكم كلام السائح الانكليزي

[1] في هذا الخان حفظ دربكالو، قنصل فرنسة في صيداء النصارى سنة ١٨٦٠، فانقذهم من المذابح، لانه كان مسكناً للقناصل. وذلك القسم هو الآن مستشفى للحكومة الفرنسية. اما القسم الثاني من الخان فهو دير للآباء الفرنسيسكان، وكنيستهم فيه تسمى «ترّا سنتا» اي الارض المقدسة والقسم الثالث منه هو الآن ميتم ومدرسة لراهبات مار يوسف. فتأمل كبر هذا الخان الذي وصفه الرحالة موندرل الانكليزي كما سترى.

الرحالة هنري موندرل ، الذي دخل بيروت في ١٨ آذار سنة ١٦٩٦ ، اي بعد ستين سنة من قتل المعني ، وهو الذي وصف ذلك شاهداً عياناً في كتابه « من حلب الى اورشليم » من الصفحة ٤١٤[1] فصاعداً قال :

« سميت بيروت باسم بعل بيريت ، ولقبت جوليا فيلكس اي السعيدة . . . وكان قصر الامير فخر الدين فيها ، وهو رابع امير من اسرته ، والعامة تزعم ان اصله من الصليبيين الذين بقوا وتشتتوا في البلاد . . . فزرت ذلك القصر في الشمال الشرقي من المدينة . وفي مدخله صوريج رخامي من اجمل ما رأيت في المملكة العثمانية بفوارته (نوفرته) وفي القصر غرف للمحاكم كثيرة اصبحت الآن خراباً وبعضها لم يتم بناؤه . وهناك اصطبلات للخيول ، ومرابض للسباع والوحوش ، مما لم أر مثله الا في قصور الملوك .

« واجمل ما في القصر حديقة البرتقال . فهي مقسومة الى ١٦ مربعاً كل اربعة منها في جهة ، وبينها مماش مرصوفة بالحجارة وفيها اقنية لجر المياه المترقرقة فيها للسقيا . والجدران مظللة باشجار الليمون النضرة . وكان فيها بستاني انكليزي يرتبها على النسق الذي شاهده الامير في سفرته الى توسكانة وما حولها وعمل مثله مما لم يكن في الشرق . ولكن هذه الحديقة امست الآن زريبة للمواشي كالغنم والمعزى .

« وفي شرقي هذا البستان ممشيان مرتفعان احدهما فوق الآخر يصعد الى كل منهما باثنتي عشرة درجة توصل الى مصيف بهج في الشمال ، كان الامير فخر الدين يجلس فيه مع بطانته في ساعات انسه على نمط ما رأى عند امراء توسكانة ايضاً .

---

١) هو الرحالة H. Maundrell الانكليزي الذي رحل الى القدس في عيد الفصح من حلب . ورحلته في مجموعة « رحلات قديمة في فلسطين » *Early Travels in Palestine* طبعت في لندن سنة ١٨٤٨ في ٥١٧ صفحة بقطع الثمن : ورحلة موندرل فيها من الصفحة ٣٨٦–٥١٢ غير مصورة . ثم وجدناها مطبوعة على حدة مصورة وهي من ٢٦ شباط سنة ١٦٩٦ الى شباط سنة ١٦٩٧ ، ونقلت منها هذه القطعة مرتبة باختصار قليل ، وقد وصف الرحالة بعض آثار بيروت وما يجاورها . والكتابان في خزانة الجامعة الاميركية في بيروت ، نقلت بعض الرسوم المتعلقة بتاريخ المعني عن احدهما .

«ورأيت في حديقة اخرى قواعد للتماثيل التي كان الامير ينوي نصبها عليها كما في متاحف بلاد الفرنجة وحدائقها العامة وهي مما يأباها المسلمون.

«وفي زاوية هذه الحديقة برج علوه ستون قدماً وكثافة جدرانه اثنتا عشرة قدماً وهو للمراقبة».

انتهى قول السائح الانكليزي.

اقول: واراد بهذا البرج برج الكشاف الذي كان موقعه في زاوية ساحة البرج الشرقية الجنوبية على يسار الداخل في طريق النهر، حيث هناك الآن خان البرج، وهو جزء منه بقي عموده وجداره فقط. وكان يشرف على طريق طرابلس وطريق الشام وصيدا والبحر فلذلك سمي الكشاف. وكثير من الشيوخ شاهدوه في منتصف القرن الماضي وما بعده بقليل قبل ان هدم وشيدت مكانه الابنية الحاضرة في شرق ساحة البرج الجنوبي.

ومما ذكره موندرل عن بيروت مما له علاقة بالمعنى قوله: «في ١٩ آذار ذهبنا مسافة ثلث ساعة الى سهل عظيم يمتد من البحر الى الجبل، وفي بدئه غاب صنوبر زرعه فخر الدين[1] ونظن انه نصف ميل.» (اه)

وفي الصفحة ٤٢٠ قال: «وعلى هذا النهر (يريد نهر الدامور) التقينا بعدد من التجار الفرنسيين من صيدا لهم شغل هناك في المدينة. فنصبنا خيامنا خارجاً عنها. ولكن تجار فرنسة ادخلونا الى محلهم في الخان الكبير[2] المجاور للبحر حيث القنصل وكل الشعب يسكنون معاً.

« وهناك المينا الذي طمره فخر الدين لمنع الاتراك من الدخول اليه باساطيلهم[3] فالمرفأ مسدود، وكل المراكب المشحونة او الشاحنة تعتصم بلجإ

١) كثر عند القدماء نذر الاشجار لآلهتهم. فلعل شجر الصنوبر خصص بالاله (بيريت) الذي كان هيكله في بيروت وسميت المدينة به، فيكون معاصراً لها منذ القدم. او انه غرس لمنع الرمال التي تنسفها الرياح على المدينة فتطمر بعض ابنيتها، فيكون منذ سدت الرمال من جهة الاوزاعي البحر، لان بيروت كانت قديماً جزيرة كما ذكر بعض الجيولوجيين.

٢) يريد به خان الافرنج الذي سبق ذكره في هذه المقالة.

٣) انكر علامتنا واستاذنا الاب لامنس اليسوعي في كتابه «تسريح الابصار» القول بطمر ميناء صيدا.

صخور على بعد ميل من الشاطئ في شمالي المدينة . وهناك اطلال طمرها الاتراك . وفي جنوبي المدينة قلعة على رابية يقال انها من بناء الملك لويس التاسع الفرنسي الملقب بالقديس . وعلى مقربة منها قصر لفخر الدين غير كامل البناء يستخدمه الحاكم لبعض اعمال . »

## الامير حسين ابن الامير فخر الدين

ولد في دير القمر في ١٤ ذي الحجة سنة ١٦٢٠ م ، ووالدته ابنة الامير علي سيفا ، شقيق يوسف باشا حاكم طرابلس . فاسره الوزير خليل الباشا ، الصدر الاعظم ، من قلعة المرقب صغيراً . ونقل الى حلب ، ثم الى الاستانة في خدمة الصدر المذكور . فدرس علومه في مكتب سراي غلطه . ثم نقل الى السراي الكبيرة ، عند السلطان . ثم الى « خاص اوطه » وترقى في الرتب السلطانية الداخلية في السراي العثمانية حتى صار كتخدا الخزينة السلطانية ، وابى قبول رتبة الوزارة التي عرضت عليه . ثم خرج كعادتهم برتبة الخواجكانية ، وهي كتابة الدولة على القواعد العثمانية ، وتولى مناصب عديدة بمقتضى الرتبة المذكورة . فارسله السلطان محمد خان ابن السلطان ابرهيم خان ايلجياً (سفيراً) الى سلطان الهند ، فمرّ بصيدا حيث استقبله نسيبه الامير احمد المعني ، آخر حكامهم ، والامراء الشهابيون ، حكام وادي التيم ، وبعض الاعيان واجتمعوا به في حاصبيا . وعرضوا عليه حكم البلاد فلم يقبل .

فاستأنف سفره الى الهند وعاد الى القسطنطينية مكرماً ومتمماً ما انتدب اليه . ولما توفي نسيبه الامير احمد حاكم لبنان بلا ذكور ، وانتقلت الامارة الى الشهابيين اصهاره ، اعترض الامير حسين على تعيين الامير بشير ابن الامير حسين الشهابي امير راشيا لانه ابن اخت المعني احمد باشا آخر حكامهم في لبنان . وقرر ان حق الوراثة هو للامير حيدر ابن الامير موسى وهو سبط (ابن بنت) الامير احمد المذكور . فعملت الحكومة برأيه ، فوضعت الامير بشير وكيلاً للولاية

الى ان يبلغ الامير حيدر القاصر اشدَّه فيجلس على تخت الولاية[١] . وعندي رسالة للعلامة السمعاني بهذا الشأن.

وكان الامير حسين المعني عالماً شاعرًا مؤلفاً ، متضلعاً من السياسة العثمانية مطلعاً على انظمتها يغلب عليه التقى والصلاح. وكان صديقاً لمصطفى نعيما الحلبي[٢] صاحب التاريخ التركي المشهور، وعنه اخذ ما كتبه عن لبنان وحكامه وخاصة عن الامراء المعنيين . وذكر له نعيما بعض مؤلفات منها « تراجم علماء عصره » لم اقف عليها ، ولعلها في الاستانة. لكنني وقفتُ منها على « منتخب التمييز في المحاضرات والادبيات » واستنسخته[٣] . اما المطول فلم اقف عليه وهو في احدى خزائن الاستانة وفي خزانة شيخ الاسلام في المدينة المنوَّرة.

وتوفي الامير حسين هذا في الاستانة سنة ١٦٩٧ . وكان جميل الصورة نجيباً. ومن شعره قوله :

رأيتُ العقل ينفع وهو قصدٌ ويرمي في المهالك اذ يزيدُ
كمثل الماء يُروي منه قدرٌ ويُهلك منه بالغرق المزيدُ

---

١) ذكر هذا الامير حيدر احمد الشهابي المؤرخ في الجزء الثاني من مخطوطة لتاريخه ، في خزانتي كتبت سنة ١٨٤٤ ، وهي وفق نسخة الامير حيدر التي كتب عليها بخطه في الخزانة الشرقية للآباء اليسوعيين نقلت عنها بالحرف بخط الخوري بطرس صفير ، برشد الامير حيدر اسماعيل اللمعي ، وذلك في الصفحة ٢

٢) هذا المؤرخ من اسرة كوچك علي آغا . اصلهم من ديار بكر ، جلب السلطان العثماني جدهم علي آغا الصغير (كوچك) الى حلب لتكثير الاعيان فيها ولا تزال بقيتهم هناك . وتاريخ نعيما طبع ثلاث مرات باللغة التركية فكل من الطبعتين الاوليين في سبعة مجلدات والطبعة الثالثة في ستة مجلدات ، وحوادثه تنتهي في سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) وفيه فوائد مهمة عن الدولة وولاياتها وحكامها.

٣) كتبت في وصف هذا المخطوط مقالة في مجلة المشرق (٢٧ : ٨١١) فراجعها وطالع نخبة من هذا الكتاب فيها ، وترجمة الامير حسين هذا.

( له صلة )

# العلم في الحيرة

## مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر والامثال والخطابة

بقلم يوسف غنيمه (بغداد)

### ٢

ولا يفوتنا الاسود بن يعفر النهشلي[١] المتوفى سنة ٦٠٠ م ، الذي كان مع خالد بن مالك عند النعمان ، واقام عنده مدةً ينادمه ويؤاكله . ثم مرض فبعث النعمان اليه رسولًا يسأله عن صحته فقال :

نفعٌ قليلٌ اذا نادى الصدى أصلًا ... وحان منه لبرد الماء تغريدُ
وودّعوني فقالوا ، ساعة انطلقوا : ... اودى فاودى الندى والحزم والجودُ !
فما ابالي اذا ما متُّ ما صنعوا . ... كلُّ امرىء بسبيل الموتِ مرصودُ !

واشتهر الاسود بن يعفر بقصيدته الدالية وقد جاء فيها :

ماذا اؤمل بعد آل مُحَرّقٍ ... تركوا منازلهم ، وبعدَ إياد ؟
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
ارضٌ توارثها لطيب مقيلها ... كعبُ ابنُ مامة، وابنُ ام دُؤاد،
جرت الرياحُ على مقرِّ ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعادِ ،
ولقد غنوا فيها بانعمَ عيشةٍ ... في ظل ملك ثابت الاوتادِ .

ومن اولئك الشعراء روّاد الحيرة النابغة الجعدي ، وهو من جعدة قيس . قال الجمحي : النابغة الجعدي اقدم من الذبياني لانه ادرك المنذر بن محرق والذبياني انما ادرك النعمان . وقال غيره : ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث ابن ابي شمر الغساني، حين قتل المنذر، في اسارى بني اسد فشفعه . والجعدي

---

١) الاغاني ١١ : ١٢٨ ؛ وشعراء النصرانية : ٢٧٥

قصيدة جمها ابو زيد مع المشوبات في «جمهرة اشعار العرب» يصف بها حاله منذ كان عند المنذر وكيف سار الى النبي واسلم ووصف ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك ، مطلعها :

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر او ذرا

ومنها يتذكر المنذر بن محرّق :

تذكرت ، والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون ان يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرّق فاصبح منهم ظاهر الارض مقفرا (١

بلغنا الآن الى النابغة الذُّبياني[٢] (+ ٦٠٤ م) من عاش في نعماء المناذرة فاغدقوا عليه الصلات حتى انه كان يأكل بآنية الذهب والفضة من هدايا النعمان وابيه. وما عتّم ان وصف المتجرّدة ، امرأة النعمان ، وصفاً اغاظ زوجها فغضب عليه حتى هرب الى الشام ، ثم اعتذر اليه فعذره . رأى النابغة زوجة النعمان وقد سقط نصيفها فاسترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها . فقال قصيدته التي مطلعها :

امن آل ميّة رائحٌ او مغتدِ عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ

ومنها :

لا مرحباً بغدٍ ولا اهلاً به ان كان تفريق الاحبّةِ في غدِ
حانَ الرحيل ولم تودّع مهددًا والصبحُ والامساء منها موعدي
في اثر غانيةٍ رمتك بسهمها فاصاب قلبك غير ان لم تُقصد

ومنها :

والنّظم في سلك يزيّن نحرها ذهبٌ توقّد كالشهاب الموقدِ
صفراءُ كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأوّدِ
قامت تراءى بين سَجفَي كلّةٍ كالشمس يوم طلوعها بالاسعدِ
او دُميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بنيت بآجرٍ تُشاد وقرمدِ
سقط النصيفُ ولم تُرد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمخضّبٍ رخصٍ كأن بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يُعقدُ

١) الاغاني ٤ : ١٢٦ ؛ والعمدة ١ : ٦٧ ؛ وجمهرة اشعار العرب ، ١٤٥ ؛ وزيدان : الآداب العربية ١ : ١٥٦ .

٢) الاغاني ٩ : ١٦٤ ؛ و١٨ : ١٨٣ ؛ والشعر والشعراء، ٧٠ و١٢٦ ؛ وشعراء النصرانية : ٦٤٠ ؛ والجمهرة : ٥٢ ؛ والروائع ٣٠ .

والقصيدة طويلة وفيها اوصاف لا تتفق والآداب . ولمَّا صار النابغة الذبياني الى الغساسنة بعد هربه من الحيرة كتب الى النعمان يعتذر اليه بقصيدة مطلعها :

أتاني، ابيتَ اللعنَ، انك لمتني وتلك التي اهتمُّ منها وانصبُ
فبتُّ كأنَّ العائداتِ فرشنني هراساً به يُعلى فراشي ويقشبُ

ومنها :

الم ترَ ان اللهَ اعطاك سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
بأنك شمسٌ والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ومن قصائده التي اعتذر بها الى النعمان في قضية المتجردة داليته الشهيرة التي مطلعها :

يا دار ميَّةَ بالعلياء فالسَّندِ اقوت وطال عليها سالف الابدِ

ومنها :

فتلك تُبلغُني النُّعمانَ ، انَّ له فضلاً على الناس في الادنى وفي البعدِ
ولا ارى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أُحاشي من الاقوام من احدِ

وله قصائد اخرى في مدح النعمان بن المنذر وعمرو بن هند . ولمَّا بلغ النابغة ان النعمان مريض لا يُرجى لم يتمالك الصبر ، فذهب اليه والفاه محموماً ينقل على السرير ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شهبرة حاجبه ، وكان النعمان يوليه اموره وجيشه :

ألم أُقسم عليك لتخبرنّي امحمول على النعش الهمام ؟
فاني لا أَلامُ على دخولٍ ، ولكن ما وراءك يا عصامُ ؟
فان يهلك ابوقابوس يهلك ربيعُ الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيشٍ أجبَّ الظهر ليس له سنامُ .

وجاء الحيرة حاتم الطائي الجواد الشهير والشاعر الكبير[1] المتوفى سنة ٦٠٥ م . في عهد النعمان بن المنذر . وكان حاتم يخفر الحكم بن ابي العاصي الذي كان يريد حضور سوق الحيرة . وكان النعمان قد جعل لبني لأم بن عمرو ربع الطريق طعمةً لهم للمصاهرة التي بينهم . ووقع خلاف بين حاتم وبني لأم في الطريق ، فاتوا الحيرة للماجدة ، وتوسَّط إياس بن قبيصة لدى الملك النعمان فاعان حاتماً .

---

١) الاغاني ١٦ : ٩٢-١٠٩ ، ١٩ : ١٢٨ و١٥٩ ؛ وشعراء النصرانية : ٩٨ .

وقضيته مع ماوية بنت عفزر معروفة . وله قصيدة مطلعها :

حَنَّتْ الى الاجبال اجبالِ طيّءٍ ... وحنّت قلوصي ان رأت سوط احمرا

ومنها بيت يذكر فيه تردّده على مواضع من ديار المناذرة :

وما زلتُ أسعى بين خُصٍّ ودارة (١ ... ولحيان حتى خفتُ ان اتنصَّرا.

وبين شعراء الحيرة إياس بن قبيصة[٢] († ٦١٢ م) وهو من اشراف طي وفصحائها . وقد اتصل من مجالسة كسرى ابرويز الى ما لم يتصل اليه احد من الاعراب . وهو الذي ولّاه كسرى على الحيرة بعد موت عمرو بن هند الى ان ولّى النعمان ابا قابوس.

وعاش الشاعر سلامة بن جندل[٣] († ٦٠٨ م) في جهات الحيرة وعاشر العباديين في عهد عمرو بن هند . ولحق بالنعمان ابي قابوس وذكره في شعره لما القاه كسرى بين ارجل الفيلة من جملة قصيدة :

هو المُدخل النُّعمان بيتاً سماؤهُ ... نحورُ الفيولِ بعد بيتٍ مسردقِ

وقال ايضاً في هذه الحادثة يلوم زيد بن عدي:

هو المُدخل النعمان في ارض فارس ... وجاعله في قولهم في المدائن ،

والقاه ايضاً بعد ذا تحت ارجُلٍ ... وفي العرب العربا بقايا ضغائن

ومن فحول الشعراء وابطال العرب الصناديد الذين سُجنوا في الحيرة عنترة العبسي[٤] († ٦١٥ م) الذي أسر في سجن المنذر بن ماء السماء، وكان قد خرج في طلب النوق العصافيرية مهر عبلة ، على ما ورد في القصة . وقد جاء في قصيدته العينية وهو في السجن :

أيا علم السعديّ هل انا راجعُ ... وانظر في قُطرَيكَ زهرَ الاراجعِ.

ومنها :

ونُوحي على مَن مات ظُلماً ولم ينل ... سوى البُعدِ عن احبابه والفجائعِ.

وله قصيدة أخرى قافية في الموضوع نفسه استهلها بما يأتي:

---

١) ويروى بين نابٍ ودارة ٢) الاغاني ١٦ : ٩٦ ، و٢٠ : ١٢٤ .

٣) شعراء النصرانية : ٤٨٦ .

٤) ديوانه ، طبعة البستاني ، ص ٨ و٦٨ و١٦٩ ، وشعراء النصرانية : ٧٩٤ ، وزيدان الآداب العربية ١ : ١١٧ ؛ والجمهرة ، ٩٣ ؛ والروائع ٣٢ .

تُرى علمت عبلةُ مـا أُلاقي من الاهوال في ارض العراقِ
طغـاني بالزيا والمكر عمّي وجار عليَّ في طلب الصـداقِ
فخضتُ بمهجتي بحر المنايا وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسقتُ النوقَ والرعيان وحدي وعدت اجدّ من نار اشتياقي

الى ان قال: وقادوني الى ملـك كريمٍ رفيع قـدره في العزّ راقِ
وقـد لاقيتُ بين يـديه ليثاً كريـه الملتقى مرّ المَـذاقِ
بوجه مثل دور الترس فيـه لهيب النار يشملُ في المـآقي
قطعت وريده بالسَّيف جزراً وعدتُ اليه احجُل في وثاقي (١
عـاه يجود لي براد عمّي وينْعمْ بالجمال والنياق.

وله قصيدة بائية يتوعد النعمان بن المنذر ويفتخر بقوله:
لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرُّتبُ ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ.

ومنها: ان كنتَ تعلمُ يا نعمانُ ايَّ فتى يلقى أخاك الذي قد غرَّهُ العصبُ...

وهذا اعشى قيس[٢] المتوفى سنة ٦٢٩ م كان يأتي العبـاديين نصارى الحيرة يشتري منهم الخمرة. فاخذ عنهم مذهب القدرية الذي يتمثل في البيت الآتي:

استاثرَ اللهُ بالوفاء وبالـ ـعدلِ وولّى الملامةَ الرجُلا

وكان راوية الاعشى يحيى بن متى النصراني العبادي. ومدح الاعشى الاسود ابن المنذر اخ النعمان وباع في الحيرة بعض هدايا سلامة ذي فائش الحميري له.

وهذا عمرو بن كلثوم التغلبي[٣] المتوفى سنـة ٦٠٠ م نظم معلقته الحماسية الفخرية غضباً لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة. وكان عمرو هذا معجباً بنفسه فقال يوماً للندماء: هـل تعلمون احداً من العرب تأنف امه من

---

١) هذه الابيات الثلاثة تدلّنا على ان المنذر كان عنده اسد وطلب من عنترة مبـارزة ذلك الاسد بالسيف، وهو في قيوده، فانتصر العبسي على الاسد، فاكرم الملك مثواه. وذكر هذه العادة في شعر عنترة له خطورة لانها قديمة عرفتها الامم السابقة.

— « ولا يخفى ان كل هذه المعلومات وما يزينها من ابيات شعرية مستمدّة من اقوال القصّاص، وهي عرضة للشكّ، بل من الواضح ان اكثرها منحول لا قيمة تاريخية له. وانما تمكن روايتها للدلالة على اثر الحيرة وملوكها في الادب العربي ليس غير. » [المشرق]

٢) الاغاني ٨: ٢٧٦، وشعراء النصرانية: ٣٠٨؛ والروائع ٣١

٣) الاغاني ٩: ١٧٥؛ وشعراء النصرانية: ١٩٧؛ وزيدان: الآداب العربية ١: ١١٢؛ والروائع ٢٦.

خدمة امي ؟ فقالوا : نعم ، امّ عمرو بن كلثوم . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لان اباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل اعزّ العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه .

فارسل عمرو بن هند ، ملك الحيرة ، الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أمّه أمّه . فاقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بني تغلب . واقبلت ليلى بنت المهلهل في ظعن من بني تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته ، فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق . وكان عمرو بن هند قد امر امه ان تنحّي الخدم اذا دعا بالطرف ، وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة . ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني ، يا ليلى ، ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فاعادت عليها وألحت . فصاحت ليلى : واذلّاه ! يا لتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب الى سيف معلق بالرواق فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة .

ومعلقة عمرو بن كلثوم اشهر من ان تذكر انشدها امام عمرو بن هند ، لمّا تحاكم امامه بكر وتغلب ابنا وائل . وكانت المعلقة على غير ما تنشد اليوم ، ففقد من ابياتها واضيف اليها بعد ذلك ابيات تتعلق بحادثة امه التي ذكرناها فويق هذا . قال في مطلع القصيدة :

| | | |
|---|---|---|
| | ألا هبي بصحنك فاصبحينا | ولا تبقي خمور الاندرينا |
| وفيها يقول : | أبا هند فلا تعجل علينا | وانظرنا نُخبّرك اليقينا |
| ومنها : | بأيّ مشيئة عمرو بن هند | نكون لقيلكم فينا قطينا |
| | بأيّ مشيئة عمرو بن هند | تطيع بنا الوشاة وتزدرينا |
| | تهدّدنا وتوعدنا ، رويدًا | متى كنا لامك مقتوينا ؟ |
| ومنها : | ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا | وظهرَ البحر نملأه سفينا |
| | لنا الدنيا ومن اضحى عليها | ونبطش حين نبطش قادرينا |

لم ينفرد عمرو بن كلثوم بذكر عمرو بن هند في معلقته وانشادها امامه

بل جاراه في هذا الباب الحارث بن حلزة اليشكري[1] المتوفى سنة ٥٨٠ م . انتصاراً لبكر في موقف المحاكمة وقد جمع فيها ذكر عدة من ايام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرض ببعضها لعمرو بن هند . وسبب انشاده هذه المعلّقة امام ملك الحيرة ذكره الرواة ، وذلك ان النعمان بن هرم كان خطيب بني بكر ، فغاظ الملك بكلامه وأوشك ابن هند ان يقضي لتغلب على بكر في المحاكمة التي المعنا اليها قبيل هـذا في ذكر عمرو بن كلثوم . فقال الحارث ابن حلزة لقومه اني قد قلت خطبةً فمن قام بها ظفر بحجته . فرواها اناساً منهم . فلما قاموا لم يرضه انشادهم ، فقال : اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي ، لكن اكره ان اكلم الملك من وراء ستور ، وينضح اثري بالماء اذا انصرفتُ عنه . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص . وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احدٍ به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال : انا محتمل ذلك . واقترب من الملك ، فقيل للملك ان فيه وضحاً ، فامر ان تُمدَّ بينه وبين الحارث سبعة ستور فجُعلت . فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك : أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته ؟ فاجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته . وكانت هند ، ام عمرو ، تسمع فقالت لابنها : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول يُكلَّم من وراء سبعة ستور . فقال الملك : ارفعوا ستراً وادنوا الحارث ! حتى أُزيلت الستور السبعة ، واقعده الملك قريباً منه على مجلسه ، ثم اطعمه في جفنته وامر ان لا ينضح اثره بالماء . ثم جزّ نواصي السبعين رجلاً الذين كانوا رهناً في يده من بكر ودفعهم الى الحارث . ثم امره ان لا ينشد قصيدته الا متوضئاً . ومطلع هذه المعلقة الشهيرة :

آذنتنا ببينها اسماء ربَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواء !

ومنها :

ملك اضرع البرية لا يو جد فيها لما لديه كفاء .

---

١) الاغاني ٩ : ١٧١ ؛ وشعراء النصرانية : ٤١٧ ؛ وزيدان : الآداب العربية ١ : ١١٥ والروائع ٢٦ ، وشرح المعلقات للتبريزي .

(له صلة)

# الرُّتَب الكهنوتيّة

## في الطائفتين المارونية والسريانية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٥

### رسامة البريذوط والخوري والخوريفسقفوس

اثبت العلّامة السمعاني والمجمع اللبناني (٢٧٠ - ٢٧٤) لكل من البريذوط والخوري والخوريفسقفوس طقساً خصوصياً سماه « تبريكاً » وقضيا بالاحتفال به في الموفه او في الخزانة اسوةً بسائر الرتب الثانوية . على ان شرطونية الموارنة القديمة لا تشتمل الّا على رسامة واحدة كالسريان للبريذوط والخوري والخوريفسقفوس[1] . وقد ورد في صحفهم القديمة : ان هذه وظيفة الاكسرخس لا تحسب درجة بل وصيّة فقط . والمع المجمع اللبناني الى انه ليس من الضروري ان يُرقى الى هذه الرتب الثلاث من يُنتخب للاسقفية ، قال(٢٣١) : من جاري العادة في كل الشرق ان يكون انتقاء الاساقفة (والجثالقة والبطاركة) اما من جماعة الرهبان او ان يتّشحوا بالثوب الرهباني قبل ارتقائهم الى الاسقفية . يريد بذلك ان الراهب القس كان فيما سلف يرقى توّاً الى الاسقفية او الى البطريركية عند كلتا الطائفتين . بيد انه مع تراخي الازمنة حتم آباء الموارنة والسريان ان يرقى القس او الراهب الى رتبة خوريفسقفوس قبل ارتقائه الى الاسقفية وما برحت هذه العادة جارية عندهم الى يومنا .

على ان السريان ، مع محافظتهم على رتبة واحدة لتبريك البريذوط والخوري والخوريفسقفوس ورئيس الدير ، ميّزوا للخوري ثلاث وظائف[2] كالسريان الموارنة . ويراد بالبريذوط ܦܪܝܘܕܘܛܐ الساعي او الجوّال . وبالخوري ܣܥܘܪܐ الزائر . وبالخوريفسقفوس ܟܘܪܐܦܝܣܩܘܦܐ خوري القرى . وقد اصطلح الموارنة في

١) دربان : ١٢٦و١٢٧ ٢) المنتظمات ٣ : ١٥ وقد ورد في مخطوط دير الشرفة (٧-٣) رتبتان خصوصيتان احداهما للخوري والثانية للخوريفسقفوس

عهدنا على تسمية كل قسّيس خورياً خلافاً لاصل الوضع. وحقهم ان يسمّوا القس الراهب اباً والقس العامي قساً[1] كالسريان.

بناء عليه يجوز للاسقف ان ينصب في ابرشيته براذطة وخوارنة وخوريفسقفوسيّين ويوليهم سلطان تكريس حياض المعمودية والكنائس والمذابح ومسح المعمودين بالميرون بعد اعتمادهم، وضبط من هم تحت ولايتهم من الاكليرس والرهبان قيد واجباتهم. وكان للخوارنة والخوريفسقفوسيّين لا للبراذطة ان يرسموا شمامسة وقسوساً برضى اسقف المدينة. لكن آباء المجمع اللبناني (٣٣٧) اشترطوا عليهم ان لا يُقدموا على ايتاء الدرجات الصغيرة وسر التثبيت الا باذن خصوصي من لدن السيد البطريرك. وجرى هذا المجرى عينه آباء مجمع الشرفة.

وقد حتم آباء المجمعين على الاسقف ألّا يقيم في ابرشيته او في المدينة الواحدة اكثر من خوريفسقفوس واحد. وان لا يرقي الى هذه الرتبة الا القس البتول او الارمل. وان لا يسمي القسيس او البريذوط خوريفسقفوساً الّا بالرتبة الطقسية. واجازوا للاسقف ان يقيم الخوريفسقفوس نائباً عاماً عنه على الابرشية وعلى القرى. واطلقوا الحرية للسيد البطريرك ان يرقي خوريفسقفوساً يجعله نائباً عنه في الاصقاع التي لا يتيسر ان يرسم لها اسقفاً.

ومن امتيازات الخوريفسقفوس ان يلبس المصنفة ملوّنة، ويتقدم على القسوس والبراذطة، ويلبس الثوب البنفسجي. وكان له في سالف الزمان ان يلبس التاج وصليب الصدر ويبارك بالصليب ويضع خاتماً باصبعه ويجلس في القدّاس الكبير على الكرسي ويستعمل طقس لبس البدلة باحتفال امام المذبح. لكن آباء مجمع الشرفة (١٧١ـــ١٧٢) قد الغوا تلك الامتيازات. اما آباء المجمع اللبناني فقد اذنوا للخوريفسقفوس في ذلك مشترطين الا يتمتع بهذه الامتيازات الا في غياب الاسقف وباذن صريح منه.

واليك رتبة تبريك البريذوط نقلاً عن السمعاني وعن المجمع اللبناني (٢٧٠): يشتمل البريذوط بثوب القس ويقبل يد الاسقف الجالس في الخزانة

---

[1] دريان: ١٣٢

قائلاً: « بارخمور » . فيحيّيه الاسقف قائلاً : « ليباركك الرب » الخ . ويحمل صليباً في يمينه واناء من الميرون في شماله[١] ، ويدار بـه في الكنيسة ماشياً بين بريذوطين او كاهنين . وعند بلوغهم الى باب المذبح[٢] يباركه الاسقف قائلاً : « ليباركك الرب الاله بين بواذطة كنيسة القديس فلان » الخ . ثم يؤخذ منه الصليب ويوضع على المذبح ، وأحد البريذوطين يحمل الانجيل قائماً عن يمينه ، والآخر اناء الميرون قائماً عن شماله . ويبتدئ الاسقف بالصلاة : « أهلنا » الخ[٣] . حتى اذا انتها قدّم احد البريذوطين المنتخب الى الاسقف قائلاً : « نقدّم لقداستك » الخ . فيأمره الاسقف بان يجثو على ركبتيه ويضع يمينه على رأسه ويقول : « النعمة الالهية » الخ . ثم يصلي : « نعم يا ربّ اجعله مستحقاً » الخ . ويتبع : « اللهمّ ربّ القوات » الخ . ثم يضع يمينه على الاسرار ثم على رأسه ويقول : « ايها الرب الاله الحي » الخ . ثم يعقبها بصلوات اخرى فينشد رئيس الشمامسة : « فلنقف حسناً » الخ . وعندها الاسقف يُنهض المنتخب ويعطيه الانجيل ليحمله على صدره ويدار به في الكنيسة ماشياً بين بريذوطين احدهما عن يساره حاملاً اناء الميرون والآخر عن يمينه حاملاً الصليب[٤] . وعند بلوغهم الى حوض المعمودية يسمه المنتخب باصبعه من غير ميرون ، ويعود الى المذبح فيخرّ ساجداً ثلاثاً طالباً البركة من الاسقف فيضع يده عليه ويقول : « ايها الربّ الاله اهّل بسلطان كلمتك » الخ . ثم يأخذ منه الانجيل ويدفع اليه اناء الميرون ليحمله في الكنيسة في الدورة الثانية[٥] . فيرسم حوض المعمودية ثلاثاً على ما مرّ باصبعه مغموسة

---

١) زاد السمعاني ان يوضع في عنقه اوراران يمسكهما بريذوطان ويدوران به في الكنيسة بالمباخر والمراوح منشدين ܚܠܐ ܥܡܡ ܐܒܗ̈ܬܐ ܘܕܐ الخ .

٢) قال السمعاني: يبقى المنتخب على باب المذبح خارجاً فيباركه الاسقف ثانية وتغلق ابواب الكنيسة ويؤخذ منه الصليب .

٣) اثبت السمعاني صلاة الابتداء ܬܘ ܢܣܓܘܕ ومزمور « ارحمني يا الله » واياتاً سريانية وحسايا : « لذلك الرحيم الجزيل النعمة » الخ . واربعة ايات ܐܘ ܐܘ والمطر والمناداة وفقاً للطقس السرياني .

٤) وينشد الاكليرس ܣܓܕܘ ܥܡܐ ܘܦܪܘܩܐ

٥) وينشد الاكليرس ܡܫܝܚܐ ܢܘܗܪܟ ܚܙܝܢ او غيرها

بالميرون ويعود الى المذبح ويسجد ثلاثاً طالباً البركة من الاسقف فيضع يده عليه كما مرّ قائلاً : «بسلطان» الخ. ثم يتناول منه اناء الميرون ويعطيه الصليب ويدورون به في الكنيسة[1] . وعند وصولهم الى حوض المعمودية يسمه المنتخب بالصليب ، ويعود الى المذبح فيسجد ثلاثاً ويقول له الاسقف كما مرّ : «بسلطان» الخ . ثم يتلو الشماس من رسالة مار بولس (عبر ٤ : ١٤-١٦ و٥ : ١-٦) . ويقرأ الاسقف الانجيل من (متى ١٠:٥-١٠). ثم يغسل المنتخب يديه وينادي الشماس : «ايها المسيح اله جميعنا» الخ. ويصلي الحبر : «ايها المسيح الهنا» الخ. ويجلسه الاسقف على كرسي في الدرجة الوسطى ، فيحمله ابناء رعيته مرفوعاً على الكرسي ثلاثاً ، ويقول الاسقف بالسريانية : «لمجد واكرام» الخ ويقول الاكليرس بالسريانية : «مستحق مستحق» . ويلتفت الحبر الى المذبح ويصلي سراً ، ويسلم اليه عصا الرعاية قائلاً : «الربّ الذي منح موسى» الخ . ثم يأمره فينهض فيقوده الى باب المذبح ويسلم اليه قطيعه ويقول: «ها انا ذا اسلم اليك ايها البريذوط كنيسة الله هذه» الخ . ثم يتلو الخاتمة : «نشكر لك» الخ.

اما تبريك كبير الكهنة او الخوري فشبيه في الطقس الماروني بتبريك البريذوط . غير انه يضاف الى الرتبة قبل الرسائل مزموران : «الربّ راعي» الخ . و«ما احبّ مساكنك» الخ . اما الرسالة فقد عيّنها السمعاني من (١ بطرس ٥ : ١-٥ وغلاطية ٥ : ٢٢-٢٦) . وعيّن الانجيل من (متى ٢٠ : ٢٥ ٢٨). ولا فرق عندهم في مسئلة الدورات الثلاث الا ان الاناشيد السريانية غير اناشيد تبريك البريذوط . واضاف السمعاني هذه الملاحظة : «احذر ان كان المنام جديداً ما اخذ وظيفة البريدوط سابقاً يجب ان يتممها اولاً ثم يكون الطواف.» وعندما يجلسه على الكرسي يلبسه التاج قائلاً بالسريانية : «لمجد واكرام» الخ.

بقي تبريك الخوريفسقفوس . قال العلامة السمعاني : «يُفرض على المنتخب ان يأتي بصكّ من ابناء رعيته ، فيقرع الناقوس ويدخلون الى الخزانة ، ويتلو الاسقف صلوات التبريك كرسامة البراذطة والخوارنة . وبعد الدورات الثلاث

---

١) وينشد الاكليرس ܗܘܡܢܐ ܘܫܘܒܚܐ او غيرها

يقول الحبر: «الاله الذي حلّ على جبل سينا» الخ. ثم تتلى الرسالة فالانجيل من (يوحنا ١٠) والمناداة. ويلبسه الحبر الفنّارة ويجلسه على كرسي فوق الدرجة الوسطى ويضع على راسه التاج قائلاً: «لمجد واكرام» الخ. ويعطيه عصا الرعاية قائلا: «الربّ الذي اعطى موسى» الخ. ثم يقوده الى باب المذبح ويسلّم اليه رعيّته ويوصيه قائلاً: «ايها العزيز الحبيب الك وحدك اقول الآن» الخ.

امّا رتبة تبريك البريذوط والخوري والخوريفسقفوس ورئيس الدير في الطقس السرياني فتكون على هذا النسق: يلبس المنتخب القميص والبطرشيل والزنّار والكمّين، وينتصب في باب المذبح، فيبدأ الحبر: «اللهمّ يا من كمّل رسله» الخ. وينشد الاكليرس خمسة ابيات في التوبة تليها صلاة: «ارأف يا ربّ بالخطأة» الخ. ثم قوقليون وحسّاي: «الاله الذي زيّن كنيسته المقدسة» الخ. ثم: «يا ربنا يسوع المسيح قوّة الله الآب وحكمته» الخ. يلي ذلك بيتان بلحن ܚܘ ܡܫܝܚܐ ܡܫܡܫܢܐ والطر: «ايها المسيح». وبعد الزومار تقرأ الرسالة من (٢ طيم ٢: ١ــ٢ و٨ و١١ وتيطس ١: ٥ــ١١ و٢: ١ــ٨). ثم الهلّل والانجيل من (يوحنا ١٤: ١٥ــ٢٦). ويبدأ الحبر بالمزمور ١٥٠ مردّداً بالابيات السريانية ܡܫܒܚܐ ܘܡܘܕܝܢ الخ. ويصلي الحبر سرّاً: «ايها الاله العظيم مانح المواهب» الخ. ويجهر: «اقبل الخوريفسقفوس وكمّل عبدك» الخ.

وعند ذاك يحمل رئيس الشمامسة عكّاز الحبر وينتصب في باب المذبح الجنوبي وينادي ܠܗܘܢ ܕܚܠܬܐ الخ. فيضع الحبر يمينه على راس المنتخب اذ يكون جاثياً امامه ويقول سرّاً: «فليؤتك الربّ ان تكون للبنيان الصالح» الخ. ثم يسم جبهته بيمينه قائلاً: «ܐܠܗܐ ܡܫܡܫܢܐ ارتقى في كنيسة الله المقدسة» الخ. ويقول رئيس الشمامسة: «فلان خوريفسقفوساً او بريذوطاً او رئيس دير» الخ. ثم ينهضه الحبر ويلبسه المصنفة فالفنّارة وهو يقول بالسريانية: «لمجد واكرام» الخ. ثم يسلّمه العكّاز قائلاً: «عصا العزّ» الخ. وتكون يد المرسوم تحت يد الحبر ويقول الشماسة كذلك: «عصا العزّ» الخ. ويبقى العكّاز بيد الخوريفسقفوس الجديد. وهكذا تنتهي الرتبة.

## ٦ طقس سياميذ الحبر

الرتبة الثالثة والاخيرة من الرتب المقدسة عند كلتا الطائفتين رتبة سياميذ الحبر. ويُطلق الحبر على الاسقف والمطران والمفريان اي الجاثليق وعلى البطريرك والبابا. ومعنى الاسقف ܐܦܝܣܩܘܦܐ زائر الشعب، والحارس، والرقيب، والمطران ܡܝܛܪܘܦܘܠܝܛܐ ابو المدينة. والمفريان والجاثليق ܡܦܪܝܢܐ ܘܩܬܘܠܝܩܐ الاب العام. والبطريرك ܦܛܪܝܪܟܐ ابو الآباء. والبابا رئيس الرؤساء. ولكل من هؤلاء نعوت اخرى كرئيس الكهنة ܪܫ ܟܘܡܪܐ. وܟܗܢܐ ܘܪܥܝܐ راعٍ. و ܩܕܝܫܐ و ܕܟܝܐ طاهر ونقي الخ. ويسبق اسم الحبر بلفظ ܡܪܝ مار او ماري وفقاً لاصطلاح السلف.

وشرطت الصحف السريانية والمارونية شروطاً ثمانية لتكميل سياميذ الحبر وهي: ١ً ان يكتب صورة الايمان بخط يده ويقرَّها وقت سياميذه على مسامع الاساقفة والاكليرس والشعب. ٢ً ان يُحتفل بالسياميذ بحضور اسقفين او ثلاثة. ٣ً ان يتناوب الاساقفة في طقس السياميذ تلاوة الصلوات والحسآي. ٤ً ان يُفتح على راس المنتخب كتاب الانجيل عند الفصل الرابع من لوقا[1]، ويمسك به الاساقفة فوق رأسه. ٥ً ان يتشح المنتخب والذي يرقّيه ببدلة بيضاء. ٦ً ان يقرأ المرسوم الفصل العاشر من انجيل يوحنا في ختام السياميذ. ٧ً ان يقبض على العصا بيساره. ٨ً ان ينادي احد الاساقفة المناداة.

وقد استوفى المجمع اللبناني (٣٤١ ـ ٤١٥) ومجمع الشرفة (٢٥٠ ـ ٢٧٢) الكلام عن الاسقف من حيث انتخابه وفروضه وسلطته وحقوقه وامتيازاته وزيه. وزبدة ذلك:

١ً: ألا يرقى الى الاسقفية الا الراهب او الكاهن العالمي، وقد جاوز الثلاثين من سنه. ويقضى على غير الراهب ان يتخذ الطريقة الرهبانية ويتوشح بالاسكيم لا يتجرد منه. وان اطرحه يؤدبه السيد البطريرك او يحطّه من درجته.

٢ً: يناط انتخاب الاسقف وسياميذه بالسيد البطريرك، لكن بمشورة

---

١) الدويهي: ١٦٥ ؛ وشروح موسى بر كيفا وغيره.

ورضى الاساقفــة ، واستطلاع ارادة اكليرس واعيان المدينة التي سيرئسها في اختيار ثلاثة من الاكليرس ينتخب البطريرك والاساقفة واحداً منهم ويعرضونه على الحبر الروماني ليؤيده.

٣ : لا يؤجّل انتخاب الاسقف وسيامته وذهابه الى ابرشيّته اكثر من ثلاثة اشهر.

٤ : لا يغادر الاسقف ابرشيّته او يغتصب غيرها . ولا يحقّ له ان يباشر الامور الحبريّة او يلقي الخطب الدينيّة في غير كنائس ابرشيّته الا باذن صريح من الاسقف المكانيّ.

٥ : لا يحلّ للاسقف ان يرسم اكليريكياً من غير ابرشيّتــه الّا برضى صريح من رئيسه، او برضى السيد البطريرك. كما لا يحلّ له ان يقبل في ابرشيته كاهناً او شماساً او اكليريكياً اجنبياً ، او يحلّه من التأديبات الّا باذن رئيسه.

٦ : لا يحلّ للاسقف ان ينصب له خلفاً في آخر حياته. وان استخلف كان استخلافه لغواً .

٧ : يلزم الاسقف ان يقيم الذبيحة الالهية عن رعيتــه مجّاناً ايام الآحاد والاعياد الكبيرة.

٨ : يلزمه ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من كهنة ابرشيّته مرّة في السنة للنظر في احوالهم واحوال رعيّتهم من حيث الايمان والآداب الخ.

٩ : يلزمه ان يتفقّد رعيّته مرّةً في السنة، ويُشرف على الكنائس والمدارس والشعب ، ويثبت حوادث زيارته هذه في كتاب خصوصي.

١٠ : اذا اراد الاسقف ان يستقيل فلا يرخّص له السيــد البطريرك في ذلك الّا بمشورة الاساقفة والمطارنة.

١١ : على الاسقف ان ينشئ في كرسيّه خزانة يصون فيهـا المخطوطات السريانية القيمة ، والكتب الطقسية ، والرسائل الرسمية ، وسجلات الدعاوي ، وموجودات الكنائس ، والحجج ، ودفاتر المعمودين والمثبتين والمزوّجين والموتى.

١٢ : وزاد آباء مجمع الشرفة(٢٥٨) ان يتخذ الاسقف ختماً خصوصياً ينقش عليه بالسريانية اسمه واسم اسقفيته مع آية من الكتاب الكريم ورسم رمزي .

١٣ً : للاسقف التقدم على جميع خوارنته وقسأنه وشمامسته . ويجب ان يذكروا اسمه بعد اسمي الحبر الاعظم والسيد البطريرك في القداس والصلاة والطقوس . ويرافقوه الى الكنيسة بالترانيم تتقدمهم راية الصليب . ويخدموه جميعاً كلما احتفل برتبة طقسية

اما زي الاسقف العادي فالاسكيم . ويكون الاسكيم الحبري الماروني من قماش او من حرير اسود دون صليب ، والاسكيم السرياني بصليب مذهب تعلوه القلنسوة فوقها زر مذهب . وقلنسوة الاسقف الماروني مدورة وهي احق بالاتباع لقدمها . اما قلنسوة الاسقف السرياني فحديثة كقلنسوة الروم . وللاسقف مارونياً ام سريانياً ان يلبس ، تبعاً لاساقفة اللاتين ، ثوباً بنفسجياً ذا ازرار قرمزية ، ويتقلد خاتماً ببنصر يده اليمين ، ويتزنر بزنار قرمزي ، ويلبس جبة تحشى هدبتاها من داخل بلون قرمزي . وله كذلك ان يتخذ عصا من الخشب الاسود يعلوها شكل رمانة صغيرة من الفضة او من العاج او من عظم آخر . ولا يحق له استعمالها بحضور السيد البطريرك . اما زي الاسقف الكنسي فالاسكيم ، كما ذكرنا ، والمصنفة المطرزة ، والدرع العريض الطويل اعني الاموفوريون ، وصليب الصدر ، والتاج ، وصليب اليد ، والعكاز . يتشح بها وهو جالس على العرش في المواسم ، وواقفاً امام المذبح في الايام العادية . ويكون العكاز من الابنوس او من الفضة مقوماً سوياً أملس بلا عقد ، على رأسه كرة من بلور او غيره ، وفوق الكرة شوكة كالحربة[1] ، وقد بدلت الشوكة بصليب . وقد خصص مثل هذا العكاز بالسيد البطريرك . اما عكاز الاسقف فيكون رأسه اعوج ملتفاً او يعلوه شكل حيتين .

اما سياميذ الاسقف فيجب ان يتم بوضع يد السيد البطريرك ، وفي الكنيسة البطريركية . وللبطريرك ان يأذن لاحد الاساقفة ان يرسم اسقفاً في كنيسة الكرسي الاسقفي . ويليق بالاسقف الجديد ان يكتب الى الحبر الاعظم عريضة احترام وخضوع على اثر رسامته . واليك بعد هذا الشرح رتبة سياميذ الاسقف في الطقس الماروني دون السرياني ، لان سياميذه في الطقس السرياني لا يختلف عن سياميذ المطران والجاثليق والبطريرك كما سترى . (لها بقية)

١) دريان : ١٠٠-١٠١

محاولات في درس جبران

# الجوهر الفرد

## في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

٤

## الصلوة واللذة

ولنوجه الى وعظه عن الصلاة واللذة انتباهاً خاصاً ، لان هذين الموضوعين ، بعد المحبة ، هما اللذان يستغرقان اهتماماً وافراً بالنسبة الى باقي الابحاث .

## الصلوة الجبرانية

ولنذكر انه يوجه حديثه عن الصلاة الى الكاهنة ، كأن المرأة هي الجديرة بالصلاة دون غيرها . واما حديثه عن اللذة فموجه الى الناسك ، كأن الناسك المتدين حري بمعرفة ضروب اللذة عنوةً عن الناس اجمعين . قال[1] :

« ثم قالت له الكاهنة ، هات حدثنا عن الصلاة .
فأجاب وقال :
انك تصلين في ضيقتك وفي حاجتك .
ولكن حبذا لو انك تصلين في كمال فرحك ووفرة خيراتك .
وهل الصلاة غير اتساع ذاتك في الاثير الحي ؟ »

النبي الجبراني لا يفهم معنى صلاة الخاشعين المتضرعين الـذين يصلون في الاوقات العصيبة والضيق والحاجة ، وملء قلوبهم الرجاء والايمان بقـدرة الخالق الرازق الرؤوف الرحيم . انما يريد الصلاة في « كمـال الفرح ووفرة الخيرات »

---

١) جميع مقاطع فصل الصلاة مأخوذة من « النبي » ، ص ٨٢-٨٥ .

عندما تكون ذات المصلي متسعة في الاثير الحي ، اي عندما يقضي على كآبة وتقطيب وجه الزاهد تشامخُ الانسان الطروب وتساميه للقبض على عنق الانبساط الكلي .

هل يحتقر جبران صلاة الضعيف العاجز ليحترم صلاة الفرح المثري ، لانه يريد ان يُذكّر المثري بواجب الشكر او لانه يخاف طغيان المتعالي ليخفف من غلوائه ويعدّل سكرة الفرح والترف بفكرة الشكر والخشوع ؟

كلّا هو يريد احتكار الفرح وابعاد كل ما من شأنه ان يعكّر صفوه . ويتابع :

« فاذا كنتِ تتعزَّين في ان تبكي كاس ظلمتك في الفضاء فانك ولا شك تفرحين ايضاً في ان تبكي فيه فجر فؤادك .

واذا كنتِ لا تستطيعين ان تمتنعي عن البكاء عندما تدعوك نفسك الى الصلاة ، فالاجدرُ بنفسك ان تنخسك بمنخس حادٍ مرةً بعد مرة ، على رغم الدموع المتساقطة على وجنتيكِ ، لكي تأتي الى الصلاة فرحةً باسمة . . . »

اترون في هذا غير قنبلة هائلة من معدّات الحرب في القرن العشرين الضاحك ، في بلاد البشاشة والاستخفاف ، لتطيير اركان الروحية والصوفية الاصلية المقطّبة الحواجب ، واستبدالها بعقيدة دنيويّة لا تذكر العبادة والصلاة الا في « كمال الفرح ووفرة الخيرات » ؟

ايكون بعد الآن عجبٌ او غرابةٌ اذا نال « النبيُّ » الجبراني مكانة سامية في بلاد السينما والتشارلستون ، وارض المناجم والمعادن والقطن والسيارات وناطحات السحاب ، فاعتبروه سفراً مقدساً ليحلّ محلّ الانجيل في الكنائس والنوادي ، ما دام هو يُطرى المحافظة على « كمال الفرح ووفرة الخيرات » ويحرّض على نخس النفس بمنخس حاد مرةً بعد مرة اذا هي لم تتماسك عن البكاء وقت الصلاة . وهل لدى « النبي » مناخس كافية يوزّعها على القوم ايام خميس الآلام والجمعة الحزينة وسبت النور ؟

اجل ! هناك ، اي في « كمال الفرح ووفرة الخيرات » اي على ذروة الانشراح والمنى حيث يحبّذ الصلاة ، يقول « النبي » :

« واذا صلّيتِ فانتِ ترتفعين بروحكِ لكي تجتمعي في تلـك الساعة بارواح المصلين ، الذين لا تستطيعين ان تجتمعي بهم بغير الصلاة .

لذلك فلتكن زيارتك لذلك الهيكل غير المنظور مدعاة للهيام السماوي ولشركته الروحية السعيدة .

لانكِ اذا دخلتِ الهيكل، ولا غاية لكِ سوى السؤال، فانكِ لن تنالي شيئاً .

واذا دخلتِ الهيكل لكي تظهري وفرة اتضاعكِ وخشوعكِ فانكِ لن تجدي رفعة :

بل ، لو جئتِ الهيكل وانتِ ترجين ان تلتمسي خيراً لغيرك من الناس فانكِ لن تجابي الى سؤالك .

لانه يكفيكِ ان تدخلي الهيكل من غير ان يراكِ احد . »

يقولون ان بمثل هذا صوفيّة متقّفة . ولكن اليس في قوله « انك اذا دخلت الهيكل ولا غاية لك سوى السؤال فانك لن تنالي شيئاً » نسف لعقيدة « الاتكال على الله » ، وتحذير من سؤاله ، وجحود لمنه وكرمه الذي يعتمد عليه الغزالي ، شيخ الصوفية ، وسائر الاتباع من دراويش العرب وفقراء الهند ؟

او ليس في قوله « وان دخلتِ الهيكل لكي تظهري وفرة اتضاعك وخشوعك فانك لن تجدي رفعة » رفض باتّ لسجايا التقوى واذلال النفس ، وحض ظاهر على أبّهة الصالون وفخفخة المرقص ؟

او ليس في قوله : « بل ، لو جئت الهيكل وانتِ ترجين ان تلتمسي خيراً لغيرك من الناس فانكِ لن تجابي الى سؤالك » تحريم قطعي لمحبة القريب ، ويأس تام من خلاص الخطأة ، وقنوط من الاحسان الى الاخوة في الانسانية ؟

فما دامت صلاة النبي الجبراني لا تشتمل لا على الرجاء ، ولا على التقوى ، ولا على محبة البشر ، ماذا تتضمن اذن هذه الصلاة الغريبة ؟

يجيبنا « النبي » :

« لا استطيع ان اعلمك الصلاة بالالفاظ .

لان الله لا يصغي الى كلماتك ما لم يضعها تعالى اسمه على شفتيك وينطق بها بلسانك .

ولا اقدر ان اعلمكِ صلاة البحار والجبال والاحراج .

بيد انك ، وانت ابنة الجبال والاحراج والبحار ،

تستطيعين ان تجدي هذه الصلاة محفورةً على صفحات قلبك .

فاذا اصغيتِ في سكينة الليل سمعتِ الجبال والبحار والاحراج تصلي بهدوء وخشوع :

« ربنا والهنا ، يا ذاتنا المجنّحة ،

انّا بارادتك نريد ،
وبرغبتك نرغب ونشتهي ،
بقدرتك تحوّل ليالينا ، وهي لك ، الى ايام هي لك ايضاً ؛
انّا لا نستطيع ان نلتمس منك حاجة ،
لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا .
انت حاجتنا : وكلّما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء . »

هذه هي صلاة النبي التي استطاع ان ينقلها عن لسان بنات الطبيعة « البحار والجبال والاحراج »

فلنقابل بينها وبين الصلاة التي رواها الكتاب المقدّس على لسان السيد المسيح ، ولا يزال يردّدها المؤمنون في كل يوم عشرات المرات قائلين : « ابانا الذي في السموات » ، اي انهم يتضرّعون ويدعون الله باسم « الاب » الحنون ، بارئ الخلق ، ومصدر الكل المعتبر فوق الفوق اي « في السموات » ؛ واما النبي الجبراني فلا يوجّه دعاءه للبارئ المتجلي في السموات ، بل لمعبود خاصّ به يناديه صارخاً من اعماق كليته الطبيعية الكامنة في الارض « بالاحراج والبحار والجبال » .

ولكن من هو ذلك المعبود ؟ واين يقيم ؟

ان صلاة النبي الجبراني تدلُّ عليه اذ تقول : « ربنا والهنا ، يا ذاتنا المجنّحة » .
هو يعبد « الذات المجنّحة » ، اي الانانيّة المجرّدة التي لها اجنحة تطير بها فوق الريح ، وتتغلّب على اشدّ مظهر للقوى الطبيعية .

ويتمّ المؤمنون صلاتهم القديمة : « ليتقدّس اسمك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض » ، اي انهم ينادون بالتسليم المطلق لارادة الله الآب البارئ الحنون ومشيئته العادلة الشاملة السائدة في السماء وعلى الارض .

واما النبي فيقول في صلاته الطبيعية : « انا بارادتك نريد ، وبرغبتك نرغب ونشتهي » مستعملاً صيغة المتكلم مع التأكيد ايضاً في قوله : « انا . . . نريد . . . نرغب . . . نشتهي » كأن لا شيء في العالم سوانا ، وكأن ليس لدينا اغلى من الارادة ، والرغبة ، والشهوة ، لنجعلها موافقة لارادة ورغبة وشهوة « ذاتنا

المجنَّحة » التي ليس من رب سواها يبسط قدرته اللامتناهيـة فوق الكائنات ويحلق بالفضاء الواسع « ويحوّل الليالي ، وهي له ، الى ايام هي له ايضاً .»

اليست هذه الصلاة ابلغ انشودة تستحقّ ان يطبّل ويزمّر لها جيش التطاحن البشري ، وجند التزاحم للقبض على زمام الحياة ، ولسان حال الغيلان الفاغرين افواههم لبلع كل « ما يُرغب ويُراد ويُشتهى » على مائدة الانانية القوية ، مع تكريس لهذه الانانية وتقديس لهذه القوة ؟

اين هذا الاستئثار في « اننا نريد ونرغب ونشتهي بارادتك ورغبتك ، ياذاتنا المجنّحة » من التسليم لعـدل الاله الروحي في « لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . »

وتُختم صلاة المؤمنين القديمة : « اعطنا خبزنا كفاف يومنا واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر لمن اخطأ واساء الينا . . . »

يطلب المؤمنون خبزهم كفاف يومهم ، اي انهم يقتنعون من حطام الـدنيا بتحصيل الضروري من شروط الحياة التي يهبها الاب الحنون البارئ .

وامـا النبي الجبراني فيختم صلاته بقوله :

« اننا لا نستطيع ان نلتمس منك حاجة ،

لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا .

انت حاجتنا : وكلّما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء . . »

اي انه لا يحدّد الحاجات التي يريدها ويرغب فيها ويشتهيها .

ولكن ، ألانه يكتفي بما لديه غير طامع بالاستزادة ؟

كلّا ، بل لانه لا يستطيع تحديد حاجاته . ومن يعرف اذن تلك الحاجات التي يجب التماسها من الرب المعبود ؟

هو نفسه ، الانانيَّة ، اي « الذات المجنَّحة » ، يعرف كل ذلك منذ الشعور الاولي : « لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا »

ولعمري ! ما هي امّ هذه الحاجات ؟ هي هي بذاتها الانانيَّـة المتضخمة ، الذات المجنحة ، الرب الواحد ، الاله المبارك ، دون سواه اذ يقول له : « انت حاجتنا : « وكلّما زدتنا من ذاتك زدتنا من كل شيء . »

وهكذا فالنبي الجبراني يقول ما فحواه الواضح « ايها الـذات المجنحة ؛ يا جوهر الانانيّة المتفوق ، انتِ ارادتي ، ورغبتي ، وانتِ شهوتي ، وكلّما استزدت منك حصلت على كلّ شيء . »

فاين هذا الاجتياح المتجسم من مرامي التضحية والاستشهاد التي تحض عليها الاديان السامية باجمعها ؟

اين هذا من حديث الرسول العربي القائل « الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » ، لا لذاته المجنحة القويّة المعبودة برغائبها وشهواتها !

اين هذا من المبدأ الاساسي للديانة المسيحية ، وهو ان مؤسس هذه الديانة قدّم نفسه ضحية طاهرة لاجل خلاص العالم وسعادتهم الابديّة ، لا لاجل ذاته المجنحة !

اين هذا من تعاليم البوذيّة القائلة ان الناس كلهم اجزاء للذات المدعوة « انا » وان خدمتهم والعمل في سبيلهم واجب مقدّس ، لأن به خدمة الذات الشخصية الذائبة في مجموعهم ، لا المتوسعة « ذاتاً مجنحة . »

وقبيل الختام يلزم ان نتساءل عمّا هي ارادة ورغبة وشهوة وحاجة الذات المجنحة المعبودة ؟

وحالّا ينتقل جبران الى الموعظة التي تعطينا الجواب بحضور « ألمطرة » التي ابتدأ يحدث ، كما ذكر ، بعد ان « نظر اليها نظرة ملؤها الحب والحنان . »

## اللذة

« حينئذ دنا منه ناسك يزور المدينة مرةً في السنة ، وقال له ، هاتِ حدثنا عن اللذة . فاجاب وقال (١ :

« اللذة انشودة الحرية ،
ولكنها ليست حرية بذاتها .
اللذة زهرة رغباتكم ،

١) جميع مقاطع فصل اللذة مأخوذة حرفياً من النبي ، ص ٨٥–٩٠ .

ولكنها ليست ثمرةً لها.
اللذة عمق ينشد علوًّا،
ولكن لا هي بالعمق ولا هي بالعلو.
اللذة جناحٌ قد افلت من قفصه،
ولكن ليست فضاءً حرًّا طليقاً.
اجل، ان اللذة بالحقيقة انشودة الحريَّة.
وانه ليطربني ان تترغوا بها في اعماق قلوبكم: ولكنني لا آذن لكم ان تستسلموا بقلوبكم للفناء.»

يقول «اللذة زهرة رغباتكم» اي انها اجمل شيء برغبات الذات المجنحة. ولكن هذه اللذة ليست ثمرة تقطف لتؤكل مرةً واحدة، وتبقى الشجرة التي انبتتها خاليةً منها. ولذلك تجب المحافظة على هذه اللذة لابقاء جمال الرغبات التي هي زهرتها. وبالنتيجة فان النبي يقصد الترغيب في دوام اللذة اللامتناهية. وسنرى نوع هذه اللذة.

ويقول: «اللذة عمق ينشد علوًّا، ولكن لا هي بالعمق ولا هي بالعلو» اي ان اللذة غرض التسامي وقوة الطموح المكتفية بذاتها المجرَّدة. وهي تقصد نفسها لنفسها، كما ينشد العمق موضعاً اعلى منه حيث لا عمق ولا عاو، فهي اذن غايته.

ويتابع «اللذة جناحٌ قد افلت من قفصه، ولكنها ليست فضاءً حرًّا طليقاً. اجل ان اللذة بالحقيقة انشودة الحريَّة.»

اي ان اللذة تشبه جناح الطائر بلطفها وكونها دعامة سياحته في جو الحرية الفسيح، اي بالحياة المقصودة، اذا انكسرت عدمت الحياة.

هذه هي النعوت التي يجب ان تستكملها حاجة الذات المجنحة، اي اللذة، وهي ان تكون مستمرَّة، هدفاً لنفسها، اساساً للحياة. وعن هذه الحاجة يقول «انه ليطربني ان تترغوا بها في اعماق قلوبكم، ولكنني لا آذن لكم ان تستسلموا بقلوبكم للفناء.»

يؤكد النبي سروره بان يترنَّم الخلق باللذة في اعماق قلوبهم. ولكنه لا يسمح بتسليم هذه القلوب للفناء، لئلا تشغل عن طلب اللذة فينقطع حبلها.

وما مثل النبي الجبراني في نظريته هذه بعمق اللذة وشدة التمسك بها ألّا كمثل الذي يعيش ليأكل.

« ان فريقاً من احداثكم يسعون وراء اللذة سعيهم وراء كل شيء، ولذلك يحكم عليهم بالقصاص والتأديب.

اما انا فلا ادينهم، ولا احكم عليهم، ولكنني اسألهم: ان يفتشوا وينقبوا لانهم سيجدون اللذة في تفتيشهم، ولكنهم لن يجدوها وحدها فقط:

فان لها سبع شقيقات، احقرهنّ اوفر جمالاً منها.

وانتم ألم تسمعوا بذلك الرجل الذي كان يحفر الارض لكي يستخرج الجذور من اعماقها فوجد كنزاً عظيماً؟ »

يحتجّ المصطفى على قصاص الاحداث من النساك الذين يستهويهم السعي وراء اللذة، ويصرّح لهم بتساهله في ذلك، بل يحضّهم على التنقيب واللحاق باللذة الخ. ويعني بذلك انه كلّما بحث الانسان عن اللذة بلغ ما هو الذ منها.

وفريق آخر من شيوخكم يتذكّرون لذات شبابهم آسفين، كأنها هي جرائم اقترفوها في اوقات السكر والجهالة.

ولكن الاسف هو بالحقيقة غمامة تغمُّ الفكر ولا تؤدّبه.

ولذلك يجدر بهم ان يتذكروا لذاتهم بالحمد والثناء كما يتذكرون حصاد الصيف.

ولكن اذا كان الاسف يعزيهم فلا بأس ان يتعزوا به.»

لا يرى جبران طائلاً تحت الاسف الذي «يغمّ الفكر ولا يؤدّبه» بل يقول انه يجدر بالشيوخ الذين تمتعوا بنصيبٍ من لذات الشباب ان يذكروا ذلك بالحمد والثناء وان يعتبروه «حصاد الصيف» اي نتيجة الموسم المستغلّة في اوانها الحقيقي. واما اذا كان الاسف يعزيهم، اي يسلّيهم عمّا فاتهم، «فلا بأس ان يتعزّوا به».

« وهنالك فريق ثالث ممن ليسوا بالاحداث لكي يجاهدوا مفتشين عن لذات جديدة، ولا بالشيوخ لكي يتذكروا لذات شبابهم.

ولكنهم لشدة خوفهم من عناء الجهاد في التفتيش والالم في التذكارات يعرضون عن جميع اللذات، لئلا يهملوا الروح او يجدفوا عليها.

غير ان لهم من هذا الاعراض بعينه لذة لانفسهم.

ولذلك فهم ايضاً يجدون كنزاً لذواتهم، مع انهم يحفرون لاجل الجذور بايدٍ مرتجفة.»

هنا يصطدم «النبي» بالصوفيين الاصليين الذين يرون اللذة بالامتناع عن اللذة، ويرون الغنيمة والكنز في كبح الشهوات واسر الرغائب، لا في جعلها انشودة الحرية. وعن هؤلاء يقول انهم « يحفرون على الجذور بايدٍ مرتعشة » اي ان في حفرهم ركاكة وضعفاً، ولذلك لن يتسنى لهم الوصول الى الكنز العظيم لان المسألة تتطلب الجرأة وعدم الارتجاف الذي يولده الخوف والحيا..

وفوراً يتخذ النبي لهجة التهكم باستفهامه المكرّر.

« ولكن هل لك ان تخبرني، وانت الناسك الحكيم، من هو الذي يستطيع ان يكدّر على الروح صفوها ؟

ايستطيع البلبل ان يعكر صفو سكينة الليل، ام المباحب نور السماء ؟

وهل يقدر لهيب نارك او دخانها ان يثقل كاهل الريح ؟

ام هل تعتقد ان الروح بركة هادئة وفي استطاعتك كلّما خطر لك ان ترعج هدوءها بعصاك ؟ »

او كما يقول المثل « كناس لا يغبّر على طحّان » لان هذا الاخير اطول منه باعاً، ومن العبث محاولة قتل الشهوة وتعليل النفس بغير اللذة الاصلية.

واخيراً لقد حان له ان يصرّح بنوع هذه اللذة الاصلية، فيقول :

« كلّما انكرت على ذاتك التمتع بلذة ما تغلق يديك على تلك اللذة في مستودعات كيانك.

ومن يدري هل تعود اللذة التي ترفضها اليوم فتترقب عودتك اليها في الغد ؟

لان جسدك يعرف حاجاته الضرورية وميراثه الحقيقي. فلا يستطيع احد ان يخدعه.

اجل، ان جسدك هو قيثارة نفسك.

وانت وحدك تستطيع ان تخرج منها انغاماً فتانة او اصواتاً مشوّشة او مضطربة. »

امثل هذا الخطاب يحتاج الى تأويل صوفي او روحي ؟ كلّا فهو يرغّب باصطياد كل لذة عندما تسنح الفرصة لئلّا تهرب ولاتعود في الغد فيحرم الجسد من ميراثه الحقيقي.

« ولعلك تسأل في قلبك قائلاً: « كيف نستطيع ان نميّز بين الصالح والشرير من اللذات » ؟

« فاذهب الى الحقول والبساتين وهنالك تتعلم ان لذة النحلة قائمة في امتصاص العسل من الزهرة.

ولكن لذة الزهرة ايضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة.

والنحلة تعتقد ان الزهرة ينبوع الحياة.

والزهرة تؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية.
والنحلة والزهرة كلتاهما تعتقدان ان اقتبال اللذة وتقديمها حاجتان لا بد منهما، وافتنان لا غنى للحياة عنه.
أجل، يا ابناء اورفليس، كونوا في لذاتكم كالنحل والازهار.»

...

هذه هي نتيجة الموعظة عن اللذة. فاين هي مدرسة اللذات الجسدية؟
في الحقول والبساتين، اي في احضان الطبيعة الحرة!
ومن هم الاساتذة الذين جعلوا قدوةً صالحة؟
النحلة، وهي مثال الجدّ والنشاط في تحصيلها وبحثها عن لذّتها في تنقلها المستمرّ بين جميع الازهار؛ والزهرة، وهي مثال الجمال والنضارة ومهبط العسل. وكل من هذين المعلّمين يعتقد ويؤمن بان الصلاح الكلي في علاقته مع الآخر «لان اقتبال اللذة وتقديمها حاجتان لا بد منهما وافتنان لا غنى للحياة عنه.»

هذا مثال بارز من خيال جبران البديع الذي يصوّر فكرته المتلألئة في كل لفظة يختارها للتعبير عمّا يجول بخاطره؛ ويدلّ على ان الاعوام التي انقضت بين تأليف «الاجنحة المتكسرة» و«النبي» لم تعمل الّا على صقل الجوهر الفرد في ادب جبران، وان الشهوة الجسدية التي انشدها بجانب سلمى كرامه بلهجة الشاعر هي ذات اللذة الجسدية التي يرغب الناسك بها بلغة الفلسفة والدين.

***

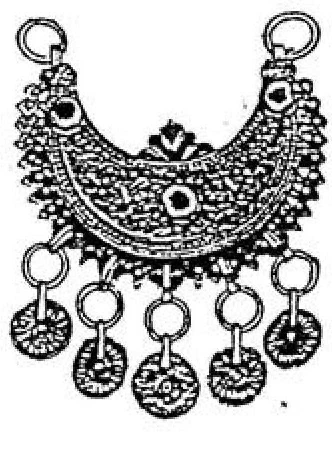
اجل، لقدْ كان جبران نصبة من كروم لبنان نمت في الحقل الغربيـة، وقدّمت للعالم ورقاً وعنباً ودبساً من مادة واحدة في كيمياء الاخلاق، هي «لذة الجسد.»

اما اثمار الورق الاخضر «بالاجنحة المتكسرة» و«عرائس المروج» و«الارواح المتمرّدة» فستذبل بعد حين عندما تجفّ القمّ الموجود بها من ماء الفن والبلاغة شمسُ النفسيّة الاخلاقيّة الغير المكهربة بجوّ الحب الشهواني والمرأة المبتهج بعريها.

واما العنب فيأكل منه الجالسون على مائـدة جبران، يتلون « العواصف » و« البدائع والطرائف » و« المواكب » و« السابق » و« رمل وزبد »، فتمتص منها عقول مريديه مزيجاً من الشراب الجدي والحامض الفني الذي يفتق القابليـة بسحر بيانه . واما الدبس المعبأ بجرة « النبي » فسيبقى مؤونة لفصل آخر من فصول التاريخ يقدّم به للعالم نوابغُ الشرق من الحلويات الشيّقـة مربّى اطيب تظهر به براعة الشرقي واستعداده للتكيُّف وفقاً للظروف والاحوال.

***

هذا هو الطعم الذي ذقتـه في ادب جبران، اذ كنت كالنحلـة الصغيرة اطلب العسل وان كان امتصاصي اياه قارصاً ، لان في هذا الاسلوب من النقـد والتحليل لذتي ، وقد عرفت ان لجبران الـذي جعلته الزهرة لـذّة قائمة ايضاً بتقديم هذا العسل، لانه يؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية ؛ ورغبت في ان يكون لسان حالي قائلاً للادباء والمتأدبين ما قاله النبي لابناء اورفليس : « كونوا في لذاتكم كالنحل والازهار . »



# الاعشى والاسلام

## هل قصد الشاعر الى نبي المسلمين؟

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

تناقل مؤرخو الادب العربي ، قدماء ومحدثين ، رواية عن الاعشى والاسلام ظهرت لنا بحاجة الى النقد والتمحيص . وذلك لأن بعض الادباء لم يكتفوا بذكرها من جملة المرويات ، بل استندوا اليها في تأريخ وفاة الشاعر المذكور ؛ ولا يمكن الاستناد الى أس تاريخي ما لم يكن ثابتاً ركيناً ، وإلّا فكل ما يُبنى عليه يضطرب ويتقلقل حتى ينهار متهافتاً فتنهار معه جميع الاستنتاجات والفرضيات التي قد يكون المؤرخ سهر لياله الطوال في تشييدها واحدة واحدة على ذلك الأس المضطرب . هذا فضلاً عمّا في تمحيص الحوادث التاريخية من خدمة الحقيقة العامّة، ومن افادة التاريخ ، ومن بثّ روح النقد الذي يجب ان يتصف به كل مؤرخ حقيق بان يحمل هذا اللقب .

واذًا فاننا نرى من الواجب ان ننظر في الرواية المذكورة .

من الراجح ان الاعشى ادرك الدعوة الاسلامية[1] . ولكنه لم يُسلم . على ان بعض الرواة مثّاوه راغباً في الاسلام ، قاصداً مدح نبيّه ، حتى اذا كان على مقربة من نيل بغيته صدّته قريش ، فصرفته عن الدين الجديد . فما مبلغ هذه الرواية من الصحة ؟

ونحن اذا قلنا الرواية ، فهمنا بها ذاك النصّ الاصلي الذي تبدّل وتحوّر على مرور الايام حتى وصل الينا عن طريق الاغاني ، وهو الى تأليف الحكايات المؤثرة

---

١) اطلب في ذلك الروائع ٣١ : ١ ، يد

اقرب منه الى عرض الحوادث التاريخية . ولكن مها يكن من أمر فان هذا هو الشكل الذي تناقله مؤرخو الادب كافّةً .

وانَّنا نرى من المفيد ان نتتبع هذا النصّ متأخرين عصرًا فعصرًا ، فنقف على تطوّراته ونتحقق تصرّف الادباء به ، ونلمس الزيادات التي كانت تُضاف اليه في سبيل غاياتٍ قد نتوفق الى معرفتها ، حتى نصل الى ابعد اصل يمكننا الوصول اليه فندرسه ، ونتعرَّف الى رجال السند الذين يُرفع اليهم ، فنرى حظه من الامكان التاريخي . ولنبدأ برواية صاحب الاغاني (✝ ٦٦٧) لانه آخر مَن تؤخذ عنه مصادر الادب القديم . ولأن هذه الرواية خاصّة تناقلها ادباؤنا عنه وعن زميله ابن قتيبة (✝ ٨٨٩) . وهي ، في الاغاني ، منسوبة الى حبيب ابن نصر المهلبيّ واحمد بن العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن هشام بن القاسم العنزي "وكان علّامة بأمر الاعشى"[1] قال :

« وفد (الاعشى) الى النبي (صلعم) وقد مدحه بقصيدته التي اولها :

الم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهّدا
وما ذاك من عشق النساء ، وانما ... تناسيت قبل اليوم خُلّة مَهْدَدَا

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا ارثي لها من كلالةٍ ... ولا من حفًا حتى تزور محمّدا
نبيّ يرى ما لا ترون ، وذكرهُ ... اغار ، لعمري ، في البلاد وانجدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشمٍ ... تراحي وتلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشًا فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صنّاجة العرب ما مدح احدًا قط الا رفع في قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : « أين اردت ، يا ابا نصر[2] ؟ » قال : « اردت صاحبكم هذا لاسلم . » قالوا : « انه ينهاك عن خلال ويحرّمها عليك وكلها بك رفق ولك موافق . » قال : « وما هنّ ؟ » فقال ابو سفيان بن حرب : « الزنا . » قال : « لقد تركني الزنا وما تركته . ثم ماذا ؟ » قال : « القمار . » قـال : « لعلّي ، ان لقيته ، ان اصيب منه عوضًا من القمار . ثم ماذا ؟ » قالوا : « الربا . » قال : « ما دنت ولا ادنت . ثم ماذا ؟ » قالوا : « الخمر . » قال « أوّه ! ارجع الى صبابة قد بقيت لي في المهراس فاشربها . » فقال له ابو سفيان : « هل لك في خير مما هممت به ؟ » قال : « وما هو ؟ » قال : « نحن وهو الآن في هدنة[3] . فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هـذه ،

---

1) الاغاني ٨ : ٨٥ 2) يا ابا نصر : كذا في الاغاني ، وهو تصحيف ، والصواب : يا ابا بصير . 3) هي الهدنة التي جعلها ابن قتيبة هدنة الحديبية ، والتي استند اليها مؤرخو وفاة الاعشى ، كما سيأتي .

وتنتظر ما يصير اليه امرنا . فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً ؛ وان ظهر علينا اتيته . » فقال : « ما أكره ذلك . » فقال ابو سفيان : « يا معشر قريش ، هذا الاعشى والله لئن اتى محمدًا واتبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره . فاجمعوا له مائة من الابل . » ففعلوا. فاخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحة ، رمى به بعيره ، فقتله . »[1]

هذه هي الرواية كما وصلت الينا بنصّها الاخير ، ولا يذكر صاحب الاغاني غيرها . اما ابن قتيبة فيذكرها دون اسناد مبتدئاً فيها بـ « قالوا» ، ثم يوردها بشيء من التحريف ، من ذلك انه يجعل الاعشى يستغني عن الخمر بقوله :« واما الخمر فقد قضيتُ منها وطرًا . » ويحذف الربا ، ويحدّد زمن خروج الشاعر الى النبي فيقول انه كان « في صلح الحديبيّة»[2]. فكان ان استند الى ذكر هـذا الصلح من ارّخ وفـاة شاعرنا من ادباء العصر ، جارين على اثر دي پرسڤال[3] والاب شيخو[4] ، فعيّنوها في السنة ٦٢٩ م. الموافقة للسنة السابعة هجرية ، وهي السنة التي وقع فيها الصلح المذكور[5]. ولا يخفى انه لا يمكن اثبـات هذا الاستنتاج ما لم تثبت المقدمة ، اي حادثة الاعشى والاسلام.

ومما يستخلص من روايتي الاغاني وابن قتيبة ان الحادثة وقعت بعد الهجرة ، وان النبي كان في المدينة اذ ذاك . فاحفظ هذا لحينه.

ثم ان ابن قتيبة ، وهو اقدم من صاحب الاغاني بنحو ثمانين سنة ، يذكر رواية ثانية اخصر من الاولى ، وهو يقدّمها عليها ، ويوردها كأنها من عنده ، بينا نراه يتوّج تلك الرواية بكلمة «وقالوا» ؛ وهذه هي :

« وكان (الاعشى) جاهليًا قديمًا ، وادرك الاسلام في آخر عمره ، ورحل الى النبي (صلعم) ليسلم. فقيل له : « انه يحرّم الخمر والزنا » . فقال : « اتمتّع منها سنة ثم أسلم . » فمات قبل ذلك بقرية باليمامة . »[6]

---

١) الاغاني ٨ : ٨٥ — ٨٦

٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ( طبعة de Gœje ) ص ١٣٦

٣) de Perceval, *Essai sur l'histoire des Arabes*, t. II, p. 403

٤) الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ، ص ٣٥٧

٥) راجع في موقع الحديبيّة وما جرّ الى ذلك الصلح :
H. Lammens, *Hudaibiya* [Encycl. de l'Islam, II, 349]

٦) ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ص ١٣٥ — وقد نقل الروايتين البغدادي في خزانة الادب ١ : ٨٥

فلا حوار بينه وبين قريش ، ولا مائة ناقة ، ولا وقوع عن ظهر الجمل ، ولا ذكر لابي سفيان في كل ذلك . بل لا يُستدلّ من سياق الخبر هل كان الحادث قبل الهجرة ام بعدها ، وهل كان النبي في مكة ام في المدينة ؟

واذا ارتقينا الآن الى مصدر من مصادر الأدب اقدم من « الشعر والشعراء » نرى ان صاحب «الجمهرة» ، المتوفى في اواسط القرن التاسع ، يذكر الحادث ، عن ابن دأب ، على طريقة ابسط من ذلك كله فيقول :

« ان الاعشى خرج يريد النبي (صلعم) فقال شعرًا حتى اذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته . ولما أنشد شعره الذي يقول فيه :

فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفا حتى تلاقي محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تنوزي وتلقي من فواضله يدا .

قال النبي (صلعم) : كاد ان ينجو ولمّا . »(١

فلا يصادف الاعشى احدًا في طريقه ، ولا يصدّه احد عن قصد النبي . ولا يُستنتج كذلك هل كان النبي في مكة ام في المدينة ، وبالتالي هل كان الحادث قبل الهجرة ام بعدها.

وهناك مصدر آخر للادب القديم ، هو كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد ابن سلّام ، معاصر ابي زيد القرشي ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن الحادثة التي تهمّنا.

بقي علينا ان نستفتي في المشكل مَن اهتمّ اهتماماً خاصاً بالاعشى وبالنبي ، وهما بطلا الحادثة. فنرى ما يقول ثعلب ، شارح ديوان الاعشى ، ونقف على ما يذكر ابن اسحق مؤلف « سيرة الرسول ».

اما ثعلب († ٩٠٥) ، المتوفى قبل صاحب الاغاني باثنتين وستين سنة ، فيقول دون سند ، في توطئة القصيدة الدالية المعهودة :

« اقبل الاعشى ، وكان ضريرًا ، عند ظهور النبي ( صلعم ) ، حتى اتى مكة ، وقد كان سمع قراءة الكتب ، فنزل على عتبة بن ربيعة . فسمع به ابو جهل ، فاتاه في فتية من قريش ، واهدى له هدية ، ثم سأله : « ما جاء بك ؟ » قال : «جئت الى محمد (صلعم) لاني سمعت به وبصفته في الكتب لانظر ماذا يقول وماذا يدعو اليه . » قال ابو جهل : « انه يحرّم عليك الأطيبَين : الخمر والزنى. » قال : لقد كبرت ومالي في الزنى من حاجة . » قالوا : « فانه يحرّم عليك الخمر . » قال : « فما احلّ ؟ » فجعلوا يحدّثونه باسوأ ما يقدرون عليه .

١) ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب ( طبعة الخشّاب ) مصر ١٣٣٠ ، ص ٦٣

ثم قالوا : « انشدنا » . فانشدهم هذه القصيدة . ففرغ منها . قالوا : « لو انشدته هذا لم يقبله منك . » فلم يزالوا بالسِقا (كذا) حتى صدّوه . فخرج من فوره فاتى اليمامة . وقال : « اتلوّمه عامي هذا . » فمكث زمناً ، ثم مات باليمامة . »[1]

فننتقل هنا من ابي سفيان الى ابي جهل ، ومن المدينة الى مكة ، ومن بعد الهجرة الى ما قبلها .

اما ابن اسحق المتوفى سنة ٧٦٨ م . ، جامع اخبار النبي ومؤلف «سيرته» الرسمية المتداولة بين الناس ، والجدير بان يكون مطّلعاً على حادثة كهذه ، فلا نراه يذكر شيئاً عنها . الّا ان ابن هشام († ٨٣٤ م) الذي حفظ تقريباً ما كتبه ابن اسحق[2] ثم زاد عليه بعض المعلومات ، يشير الى الحادثة بطريقة تلقي نوراً جديداً على هذا المشكل . فلنتنبه للنصّ اولاً ، ولنستنتج منه كل ما يمكن استنتاجه لفهم الموضوع . قال تحت عنوان « امر اعشى بني قيس ابن ثعلبة » :

« قال ابن هشام : حدثني خلّاد بن قرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر ابن وائل من اهل العلم ان اعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج الى رسول الله (صلعم) يريد الاسلام ، فقال يمدح رسول الله (صلعم) :

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدا ، وبتَّ كما بات السليم مُسهَّدا ،
وما ذاك من عشق النساء ، وانما تناسيتُ قبل اليوم صُحبة مَهْدَدَا .
ولكن ارى الدهر ، الذي هو خائنٌ ، اذا اصلحت كفّاي عاد فأفسدا ،
كهولاً وشبّاناً ، فقدتُ ، وثروةً ، فلله هذا الدهرُ كيف تردّدا !
وما زلت ابغي المال ، مُذ انا يافعٌ ، وليداً ، وكهلاً ، حين شبت ، وامردا ،
وابتذل العيسَ المراقيل تغتلي مسافة ما بين النُجَير فصَرْخدا .
الا ايّها ذا السائلي : « أين يمّمت ؟ » فان لها في اهل يثرب موعدا ، [3]
فان تسألي عني ، فيا ربّ سائلٍ حفيٍّ عن الأعشى به حيث اصعدا .
أجدّت برجليها النجاء ، وراجعت يداها خِنافاً ليِّنا غير أحردا ،
وفيها اذا ما هجّرت عَجْرفيّةٌ اذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا ،
وما اذا ما ادلجت فترى لها رقيبين : جدياً ما تغيب وفرقدا .

---

١) شرح ديوان الاعشى (طبعة Geyer) ص ١٠١

٢) اطلب في ذلك : G. Levi Della Vida, *Sira* [Encyclop. de l'Islam]

٣) قد يستنتج من هذا البيت ان النبي كان في المدينة اذ اراد الاعشى الوفود اليه . الّا ان ابن هشام يجعل الحادثة قبل الهجرة كما سيأتي .

وآليت لا آوي لها من كلالة ولا من حفاً حتى تلاقي محمدا ؛
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم تُراحي ، وتلقي من فواضله ندا
نبياً يرى ما لا ترون ، وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا .
له صدقات ما تغبّ ، ونائلٌ ، وليس عطاء اليوم مانعه غدا .
أجدّك لم تسمع وصاة محمدٍ ، نبيّ الاله ، حيث اوصى واشهدا :
اذا انت لم ترحلْ بزادٍ من التقى ، ولاقيت ، بعد الموت، من قد تزوّدا ،
ندمت على ان لا تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان ارصدا .
فاياك والميتات لا تقربنّها ؛ ولا تأخذنْ سهماً حديداً لتفصدا ؛
وذا النصب المنصوب لا تنسكنّه ؛ ولا تعبدِ الاوثانَ ؛ والله فاعبدا ؛
ولا تقربنّ حُرّة كان سرّها عليك حراماً ؛ فانكحنْ ، او تأبّدا ،
وذا الرحم القربى فلا تقطعنّه لعاقبة ، ولا الأسير المقيّدا ؛
وسبّحْ على حين العشيّات والضحى ؛ ولا تحمد الشيطان ، والله فاحمدا ؛
ولا تسخرن من بائسٍ ذي ضرارةٍ ، ولا تحسبنّ المالَ للمرء مُخلِدا . (١

فلما كان بمكة ، او قريباً منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن امره ، فاخبره انه جاء يريد رسول الله (صلعم) ليُسلم. فقال له: « يا ابا بصير ، انه يحرّم الزنا » فقال الاعشى : « والله ، ان ذلك لامر ما لي فيه ارب. » فقال له: « يا ابا بصير ، انه يحرّم الخمر . » فقال الاعشى: « اما هذه فوالله ان في النفس منها لعلالات . ولكني منصرف فاتروّى منها عامي هذا . ثم آتيه فأسلم . » فانصرف ، فمات في عامه ذلك . ولم يعد الى رسول الله (صلعم) » (٢

فليُلاحظ اولًا ان ابن هشام لا يذكر احداً من اولئك « المشركين » الذين اعترضوا الاعشى . على انه يزيد في آخر الحادثة المذكورة ، دون فاصل ، ما يأتي :

« قال ابن اسحق : وقد كان عدوّ الله ابو جهل مع عداوته لرسول الله (صلعم) وبغضه اياه وشدته عليه ، يذلّه الله له اذا رآه . »

فايّ دخل لابي جهل هنا ! وهل يكون أثر هذا المقطع في تغلب فنسب صدّ الشاعر عن النبي الى ابي جهل ؟ وذلك قبل ان ينسبه ادباء القرن العباسي الى ابي سفيان ، جدّ الامويين .

---

١) هذه هي القصيدة كما رواها ابن هشام . وهي مذكورة في ديوان الاعشى (طبعة Geyer) ص ١٠١ – ١٠٣ مع تحريف كثير ، واختلاف في ترتيب بعض الابيات . وقد ذكرت عدة ابيات متفرقة منها في كتب الادب .

٢) ابن هشام : سيرة الرسول (طبعة Wüstenfeld) ص ٢٥٥ – ٢٥٦

وليُلاحظ ثانياً ان القرشيين لا يعطون الاعشى شيئاً ، في هذه الرواية . فلا يكون الشاعر ، والحالة هذه ، قد باع اسلامه بمائة ناقة او ما شاكل . بل يكون هو قد اراد من نفسه ان يرجئ اسلامه سنةً حتى يتروّى من الخمر وحدها. فتظهر شخصيته ارفع مما تمثلها رواية الاغاني وابن قتيبة . وما ذاك الا لأن رواية ابن هشام مأخوذة عن « مشايخ بكر » ، ولا يليق بهم ان يحطّوا من صفات شاعرهم الاكبر.

ثم لا يخفى ان هذا النصّ اقدم النصوص جميعها ، وهو اجدرها بالانتباه في الدرس التاريخي . فاذا انتبهنا لمحلّه من السيرة ظهر ان النبي كان لا يزال في مكة اذ ذاك ؛ وبالتالي ان الحادثة قد جرت قبل الهجرة ، حوالي السنة ٦١٩، كما استنتج كايتاني من سياق حوادث السيرة[1] . وكذلك ينتج من رواية ثعلب المذكورة آنفاً ، ومما نقله بعض المفسرين كالسيوطي ومن جرى مجراه[2] .

واذاً فنحن امام روايتين : الاولى ، وهي اقدم عهداً واخصر شرحاً واجدر بالاهتمام ، تجعل النبي في مكة اذ اراد الاعشى الوفود اليه . والثانية ، وهي احدث عصراً واطول حواراً ، تجعله في المدينة بعد الهجرة.

فاذا اخذنا بالرواية الاولى دُفعنا الى اعتبار عدة امور تجرحها كثيراً. من ذلك ان النبي لم يكن ، في مكة قبل الهجرة ، من حيث التأثير المادي والسلطة المدنية ، بالرجل الذي يستجلب شاعراً عظيماً كالاعشى فيجوب البلاد لمدحه . ومن ذلك ان الخمر لم تحرّم الّا في المدينة ، بعد تاريخ الحادثة بعدة سنين . وكلّها امور تبرّر شكّنا بالرواية . ثم ان هناك سبباً يرجّح الشكّ وهو اسناد الرواية « لمشايخ بكر » والوقوف ، في ذكر نسب الاعشى ، عند « بكر ابن وائل » . وهذا ، كما يظهر للمطّلع على تاريخ تلك الحقبة ، امر جدير بكل عناية واهتمام لما نعرفه من مفاخرة القبائل بعد الاسلام بقدمها في الدين الجديد ، ودلّها بعضها على بعض بمرافقتها الاسلام منذ اقدم عهده . فلا نأتي ببدعة غريبة ، والحالة هذه ، اذا ما نسبنا اختراع الحادثة ووضع القصيدة الى مشايخ بكر ،

(1) Ceatani, *Annali dell'Islam*, I,301

(2) السيوطي : شرح شواهد المغني ، مصر ١٣٢٢ ، ص ١٦٦

كما رجّح الأمر «كل الترجيح» المستشرق الايطالي المدقق البرنس كايتاني[1]. ولا سيا ونحن نعرف للبكريين سوابق في الافتراء على شاعرهم ونحلهم اياه الابيات ينالون بها ما يريدون . من ذلك ما نقله صاحب الاغاني[2] قال :

« قال رجل من بكر بن وائل في الاسلام ، وهي تُنحل للاعشى :

ونحن قهرنا تغلب ابنة وائل بقتل كليبٍ اذ طغى وتخيّلا

ابأناه بالناب التي شقّ ضرعها فاصبح موطوءَ الحمى متذلّلا »

واما اذا اخذنا بالرواية الثانية فاننا نتخلص ، دون شكّ ، من الصعوبات التاريخية الناتجة عن وجود النبي في مكة ، على اعتبار الرواية الاولى ؛ الّا ان موقف البكريين يظلّ هو هو . ويبقى هناك سبب قويّ يكاد لا يقلّ عما تقدم من الاسباب التاريخية ، ويعمل عمله مها كانت الرواية التي نأخذ بها ، وهو ينتج من نقد القصيدة نفسها وفحص امكان صدورها عن الاعشى ، اذ كان من الجهل بالدين الجديد في الحالة التي يصوّره بها الرواة . فاننا نرى في تلك الدالية من التحريمات والوصايا ما لا يمكن صدوره الّا عن عارف بهذا الدين مطّلع على ما يوحي به وينهى عنه كقوله :

فاياك والميتات لا تقربنّها ، ولا تأخذنْ سهماً حديدًا لتفصدا ،

وذا النصب المنصوب لا تنسكنّه ، ولاتعبدالاوثان،واللّه فاعبدا...الخ[3]

وكلها معلومات تتناقض وعقلية الاعشى آنَ قدومه المزعوم ، والرواة يمثّلونه اذ ذاك جاهلًا كل الجهل حتى ان القرشيين يخبرونه بمناهي القرآن . . فاين هذا الناظم المطّلع من ذاك الشاعر الجاهل !

- هذا الى كون الصناعة الشعرية في القصيدة ضعيفة جدًّا تنحطّ عن كل ما نعرفه لشاعرنا ، بل « انها اسخف ما يُضاف الى الاعشى وانها ولاسيا المدح فيها الى نظم المتون اقرب منها الى الشعر الجيّد . »[4]

---

١) Caetani, *op. cit.* I, 302 ٢) الاغاني ٦ : ١٤٣

٣) راجع الابيات ١٧ — ٢٦ من القصيدة المذكورة

٤) الدكتور طه حسين : في الادب الجاهلي ، ص ٢٥٨

الخلاصة أنه من الراجح ان مشايخ بكر وضعوا هذه القصة في اواخر القرن الثامن للمسيح — وهذا بدليل ان ابن اسحق لم يذكرها في السيرة ولقد كان حقيقاً ان يشير اليها لو عرفها — ليفاخروا غيرهم بأقدميتهم في الاسلام . فجعلوا شاعرهم الاكبر يفد على النبي ليُسلِم ، فتعاكسه الاحوال ، فينصرف بعد ان يكون قد نظم قصيدة في مدحه . الا انهم في تأليفهم تلك القصيدة ، لم يفطنوا لدقائق الحادثة ومتطلّبات الزمان والمكان وصفات الاشخاص ، فبدت فيها تلك الاضطرابات والتناقضات التي اشرنا اليها . ثم جمع ابن هشام هذه الاحاديث ، التي لم يسمع بها ابن اسحق ، فدوّنها في السيرة . واتى بعده من زادوا فيها ووسّعوا الحوار بين اشخاصها . وكأن هؤلاء انتبهوا لصعوبة حدوثها قبل الهجرة ، فجعلوها في المدينة وعيّنوا لها صلح الحديبية زمناً . ثم كان من الرواة من اراد التملّق الى العبّاسيين ، اصحاب السلطان اذ ذاك ، بالحطّ من شأن اعدائهم بني امية ، حتى في ما قبل الاسلام ، فرأوا ان يلقوا تبعة ارجاع الاعشى على ابي سفيان . ولكنهم هنا ايضاً لم يتوفّقوا في اتمام شروط الزمان والمكان . فان ابا سفيان لم يكن في طليعة مناوئي النبي في حادثة الحُديبية .[١]

فكان لنا من كل ذلك تلك الرواية الادبية بشكلها القصصي الجميل ، التي نقلها صاحب الاغاني وتناقلها عنه مؤرّخو الادب كافة كما قدمنا .

هذا ولا يضير الاسلام في شيء كون الاعشى لم يقصد الى نبيّه ، كما انه لا يضير النبي اسقاط هذه القصيدة من مدائحه . انما الحقيقة التاريخية اجدر بان تُقصد ، ويُبحث عنها ، وتُتبّع .

١) راجع في ذلك F. Buhl, *Abi Sufyân* [ Encyclop. de l'Islam]

# العناصر الفارسية في لبنان

بقلم الاب لامنس اليسوعي

## ٢

( تتمة )

وهناك مشكل آخر يعترض الباحث في الشعوب اللبنانية قد لا يقلّ صعوبةً ممّا تقدّم ، وهو اصل المتاولة المستوطنين هذه البلاد . فان المستشرقين لا يزالون يتجادلون في اصلهم ومصدرهم تجادلهم في شرح اسمهم واشتقاقه . فيزعم فون اوبنهيم (Von Oppenheim) انهم من بقايا جماعات القرامطة الاقدمين الذين نزلوا سورية فتركوا احفادهم فيها[1] . اما كازانوفا (Paul Casanova) فينسبهم الى الاسماعيليين[2] . وهما رأيان مرجوحان نتأكد ضعفهما اذا ما انتبهنا لما اختص به القرامطة والاسماعيليون من انهم ينتسبون الى بدع تكتنف معتقداتها الاسرار والغوامض فلا يمكن الوصول اليها الّا بالترقي في درجات متتابعة ، وانهم يقفون في سلسلة ائمتهم عند الامام السابع ، بينا نرى الشيعيين الإماميين ، او المتاولة ، يصلون الى الامام الثاني عشر . ولهذا يدعوهم الناس ايضاً « بالاثني عشرية » .

وقد لاحظ البعض ما يوجد بين معتقدات المتاولة ومعتقدات الشيعيين الفرس من الاتفاق التامّ ، فظنّوا ان اصل الشعبين واحد جارين على اثر الرحالة سيتزن (Seetzen) الذي جعل المتاولة يأتون من بلاد فارس[3] .

---

١) Von Oppenheim, *Von Mittelmeer zum Persischen Golf*, I, 132, note 2.

٢) *Revue d'Egypte*, I, 443

٣) المجلد الاول من رحلته ، ص ٢٤٢

وانا نرى شيئاً من ذلك في كتاب تاريخ الاعيان لطنُّوس الشدياق . فانه في ترجمته لمشايخ الحمادية يزعم انهم جاؤوا البلاد مع قومهم من ناحية بُخارى[1] . وكذلك زعم الدكتور لورته ( Dr Lortet ) ، فانه اكتشف مشابهات مهمة بين المتاولة والاكراد الساكنين مناطق العراق العليا ، فرأى انه « يمكن التأكيد بجرأة ان المتاولة اكراد اتوا من نواحي الحدود الفارسية في هجرة مهمة قد تكون حدثت في القرن الثالث عشر . »[2]

على انني اخال لورته مستقياً رأيه في هذا الامر من ارنست رينان ، متوسعاً اكثر من الممكن في فكرة سنحت لمؤلف « البعثة الفنيقية » فذكرها عرضاً . وذلك ان رينان ، في ذكرياته عن بلاد بشاره او الجليل الاعلى ، يؤكد انه صادف « عائلة او عائلتين عرف فيها ذاك العنصر الايراني ( الكردي ) المجيد الذي نقله صلاح الدين . »[3] وقد تحققت انا ايضاً وجود تقليد مشابه لهذا تتداوله بعض الأُسر المتوالية الكبيرة في بلاد الجليل ، فيكون رينان قد تناوله من هذا المحيط على الغالب . ومما يشير الى هذا الزعم ايضاً نص نشره كريستي[4] (Christie) وهو باللغة العربية العامية الجارية في بلاد الجليل العليا . ومقالة نشرها « البشير » بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٩٠٤ ، في وصف مأتم احد بكوات النبطية ، يقول فيها المكاتب ان البك المذكور من سلالة صلاح الدين .

وكنت انا ذاتي قد رأيت هذا الرأي في ما مضى[5] . على انني اقرّ اليوم انه يظهر مرجوحاً لكونه لا يعتبر الوثائق السابقة عصر الصليبيين ، كنصوص

---

١) طنوس الشدياق : اخبار الاعيان ، بيروت ١٨٥٩ ، ص ١٦٦

٢) Dr Lortet, *la Syrie d'aujourd'hui*, p. 116

٣) Renan, *Mission de Phénicie*, 633, n. 1

٤) Cf. *ZDPV*, XXIV, 69 ; 109

— وينتج من بعض المعلومات المأخوذة عن مشايخ المتاولة في اللبوة ، ناحية بعلبك ، ان المتاولة عريقو الاصل ، ما عدا متاولة بلاد بشاره فانهم من اصل كردي .

٥) راجع Lammens, *Sur la frontière nord de la Terre Promise*, pp. 6 et 40 [ extrait de la revue *Les Etudes*, 20 Févr. et 5 Mars 1899 ]

ناصري خسرو[١] والمقدسي[٢] ، الناتج عنها انه كان من الشيعيين مَن يسكنون اذ ذاك منطقة طرابلس ، وناحية الجليل الشمالية . فضلًا عن ان من ينسبون الى صلاح الدين اسكان المتاولة في سورية ينسون ان القائد الكردي المذكور الذي لاشى الخلافة الفاطمية ، ظهر في حياته واعماله كلها عدوّ الشيعيين اللدود ومجدّد مجد السنّة . بيد ان كريستي ، من غير ان ينسب ادخالهم سورية الى صلاح الدين ، يميل الى الاعتقاد بان « اصلهم من الشرق »[٣] ، مستنداً الى ما يبدو في كلام متاولة الجليل من آثار اللفظ الفارسي . ولكن هذه الخصائص اللفظية يمكن شرحها على طريق أبسط . وذلك انه لا يخفى ان علماء المتاولة او مجتهديهم عملوا كثيراً ، في عهد الدولة الصفوية ، على استدراج الفرس الى المعتقدات الشيعية[٤] . فكان لهم مع تلك البلاد المداخلات الكثيرة . ولا يزال علماؤهم حتى اليوم يذهبون من سورية الى العراق وبلاد العجم حيث يكملون علومهم العالية وينالون شهاداتهم من المدارس الشيعية العليا في تلك البلاد . وكذلك لا يندر ان يجري عقود زواجية بين الأُسر المتوالية الكبيرة والاسر الفارسية والعراقية . وعليه يكون من السهل ان نشرح آثار اللفظ الفارسي في كلام المتاولة بهذه المواصلات الدائمة .

ولكن ألا يمكن الاخذ بنظرية الاصل الفارسي او العراقي بان ننسب المتاولة الى الجماعات الفارسية التي جلاها معاوية الى لبنان ، كما قدّمنا في القسم الاول ؟ لقد حللنا هذا الامر في ما مضى[٥] اذ حقّقنا وجود الشيعيين في المناطق

١) اطلب *Relation du voyage de Nassiri Khosrau*, trad. Schefer, Paris 1881, p. 42,47

٢) اطلب جغرافية المقدسي (طبعة de Goeje) ص ١٧٩

٣) راجع *ZDPV*, XXIV, 109

٤) راجع [ Strothmoun, Ši'a [Encyclop. de l'Islam, p. 369 . — وقد ذكر فيها محمداً العاملي الجَزيني والصواب الجِزّيني . نسبةً الى جزين وهي القرية المعروفة في لبنان الجنوبي ، شرقي صيدا ، التي كانت في القرن الثامن للهجرة مركزاً متوالياً مهماً . فكان فيها مدرسة اخرجت عدداً من العلماء ( راجع في ذلك مجلة المجمع العلمي العربي ، سنة ١٩٢٩ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٣٥٤ ) اما اليوم فان سكانها جميعهم من المسيحيين .

٥) راجع : تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ، الطبعة الاولى ، ٢ : ٤٥

التي ذكر المقدسي اقامة « الفرس » فيها . ثم ان ناصري خسرو يؤكد ان سكان طرابلس كانوا ، في زمانه ، من الشيعيين[٢] . وكذلك يدلنا التاريخ على انه ، قبيل الحملات الصليبية ، كان امراء طرابلس من بني عمار يؤمنون بعقائد الامامية . وحتى القرن الثالث عشر كان المشايخ الحمادية المتاولة يبسطون حكمهم على منطقة جبيل ، حيث لا يزال اهل شيعتهم يسكنون الى اليوم بعض المناطق الجبلية مع ناحية المرمل . وهناك مدينة بعلبك وضواحيها ولا يزال للمتاولة فيها مراكز مهمة . وكذلك نرى جماعات من المتاولة في ضواحي بيروت ، حيث كان عددهم كبيراً في ما مضى كما يذكر صالح بن يحيي[٣] ، وكما يستدل من انهم على عهد المماليك نالوا اعترافاً رسمياً باقامتهم في بيروت . اما ما خص منطقة صيدا المعروفة اليوم بجبل عامل ( وفي الماضي بجبل عاملة ) مع ما يتصل بها ضمن الحدود الفلسطينية ، فانها كانت منذ عهد المقدسي[٤] ولا تزال في عصرنا ، اهم مركز للمتاولة في البلاد السورية .

على ان هناك اسباباً وجيهة تدفعنا اليوم الى التردد في اقرار الرأي الاول ، فتمنعنا عن نسبة الشيعيين المنتشرين في سورية الى الطوارئ الفارسية القديمة التي اقامها معاوية في هذه البلاد . من ذلك انه في زمن معاوية لم تكن الشيعة قد كونت بدعة دينية مستقلة كما نراها بعد ذلك . بل كانت حزباً سياسياً يجمع رجال علي وآله من المطالبين بحق الخلافة ضد الامويين . ثم ان انشاء هذا الحزب العلوي وقيادته يعود الى العرب لا الى الفرس كما يزعم بعض المستشرقين . فان العرب، اذ ذاك، لم يكونوا يعتبرون الفرس حتى المسلمين منهم ، الا موالي ليس غير ، عليهم ان يسمعوا للعرب فيعملوا بمقرراتهم دون ان يتدخلوا بشؤونهم السياسية . يؤيد ذلك اننا اذا ما عرضنا جميع الزعماء والقواد من المدافعين عن « آل البيت » والمتفانين في خدمتهم ، في تلك الحقبة ، لا نرى الا العرب

و ٤٦ — واطلب ايضاً : *Les Nosairis dans le Liban* [ extrait de la revue *l'Orient chrétien*, VII, 1902], p. 26.

٢) Relation du voyage de Nassiri Khosrau, p. 42.

٣) صالح بن يحيي : تاريخ بيروت ( طبعة الاب شيخو ) الطبعة الاولى ، ص ٢٢١

٤) المقدسي : الكتاب المذكور ، ص ١٧٩ .

الخُلّص كالمقداد ، والاشتر ، وابي ذرّ ، وعمّار . ومن على شاكلتهم ممن يكثر ورود اسمائهم في الاساطير العلوية . امّا اذا شئنا ان نضيف اليهم زميلاً فارسياً ، مهما كلّف الامر ، فاننا لا نرى ألّا المدعو سلمان الفارسي[١] . وهو عبد معتق لا نعرف عنه شيئاً يستحق الذكر ، هذا ان لم يكن قد اخترعه رجال الشيعة من العراقيين . واني لأوافق ، في هـذا الأمر ، الاستاذ يوسف هورووِڤتز ( Horovitz ) على حكمه البصير اذ قال : « هل وُجد عبد يسمّى سلمان دان بالاسلام في المدينة ؟ اننا لا نستطيع ان نبرهن عن ذلك ، ولكننا لا نرى شيئاً يعاكس هذا الزعم . »[٢] ثم لا يخفى ان شعراء الحزب العلوي ، في المئة والخمسين السنة الاولى للاسلام ، امثال كُثيّر ، والكميت ، والسيد الحميري ، كانوا جميعهم من العرب الاقحاح المتعصّبين لاصلهم العربي السامي المعاكسين للشعوبية وخاصّة للفرس منهم .

ومن المعلوم ان « الحمراء » الذين جلاهم معاوية الى سورية ، كانوا قد اشترطوا قبل اسلامهم[٣] ألّا يُدخلوا في الحروب والمنازعات السياسية بين الأعراب . فكانوا لا يهتمّون بهذه الانقسامات الاهلية ، حتى انهم ، قبل تركهم العراق ، لم يميلوا لا الى علي ولا الى اعدائه . وإلّا أفترى معاوية ، وهو مَن عرفناه بالدهاء السياسي ، ينقل الالوف من رجال علي ، وكلهم متمرّنون على الحروب اذ كانوا سابقاً من العساكر المأجورة ، فيفتح لهم ابواب سورية التي عمل فيها بكل ما أوتيه من مقدرة ادارية ودهاء سياسي حتى وحّد النزعات حول الخلافة الاموية واوجد الاخلاص الفعلي للاسرة المالكة ؟

ولنذكر الآن حادثاً يدلّ ، اذا ثبت ، عن انه كان في سورية رجال من « الحمراء » او الفرس قبل ان جلاهم معاوية اليها . وتفصيل الحادث انه في السنة ٣٦ للهجرة ، اثناء الحروب بين معاوية وعلي ، كان في احد سجون معاوية في سورية عربيّ متهم بالاشتراك في مقتل الخليفة عثمان ، فكان اذاً من الميـل

١) راجع Lammens, *La Mecque à la veille de l'hégire*, p. 293-294.

٢) *Der Islam*, XII, 182

٣) البلاذري : الكتاب المذكور ، ١٦٢ و ٢٨٠ و ٢٧٦

العاوي . فاتفق ان هرب هـذا الأسير ، فلحقه احد حراسه وهو « رجل من الفرس » على قول الكندي[١] . ولما كان على مقربة منه اخذ الأسير يستعطفه مردّدًا انه حالف النبي تحت شجرة الحديبية . فما كان من الفارسي الّا ان اجابه بأن الاشجار كثيرة في البريّة ، ثم هجم عليه فقتله . فينتج ان هـذا الفارسي لم يكن يمتّ بشيء الى الشيعة ، بل هناك مجال للشكّ بانتمائه الى الاسلام ، وهو لا يتردّد في قتل رجل من اصحاب النبي .

وفضلًا عن كل ما تقدّم فان سورية ظلّت حتى اواخر القرن الثالث للهجرة تميل الى الامويين وتبغض الشيعيين كل البغض حتى ان من كان يأتيهـا من المحدّثين كانوا يؤوبون بالخسارة والفشل وبالاهانة احيانًا ، اذا اخذوا في سرد الاحاديث الشيعية . من ذلك مـا جرى سنة ٩١٥ للنسائي المشهور ، مؤلف السُنَن ، في جامع دمشق ، اذ هجم عليه اهـل المدينة وكادوا يقتلونه . وما كان له من ذنب الّا انه ألّف كتابًا في « فضـائل علي » ، ورفض الاشادة بفضائل معاوية[٢] في عاصمته القديمة . وكثيرًا ما كانت تبلغ الحماسة من اهـل سورية فيتجيشون ويحملون اسلحتهم مستعدّين ، لا لاعادة الخلافة الى العلويين ، بل لتمهيد السبيل « للسفياني » ، بطلهم الوطني ، المزمع ان يعيد العرش الاموي ويرجع ذاك العصر الذهبي[٣]

اما منذ القرن الرابع ، بعد ان جاهرت الشيعة بانفصالها عن السنة ، فاننا نتحقق في سورية وجود عدد كبير من البـدع المنشقة عن الشيعة حتى اشدّها تطرّفًا كالنصيريّة ، والاسماعيلية ، والدروز ، والامامية . ولا يمكننا هنـا ان نبحث عن اسباب هذه الحركة الشيعية التي تظهر اشبه بردّ الفعل . على اننـا نرى انه كان من اللازم ان تسبق هذا العصر فتوافق ، على الاقـل ، سقوط

١) الكندي : ولاة مصر ( طبعة Guest ) ص ١٩ ، السطر الاخير . اما ابن الأثير : اسد الغابة ٣ : ٢١ ، السطر ٣ فذكر : « فارس منهم »

٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٦٧ – ٢٦٩

٣) راجع Lammens, *Le Sofiani, héros national des Arabes Syriens* [ Bull. Instit. français d'orchéol. orientale, XXI, 131-144]

الخلافة الاموية ، لو كان في سورية ما يعززها من الجماعات الفارسية الناقلين على عهد معاوية . ولما لم يكن شيء من هذا ، وجب ، في نظرنا ، الالتجاء الى غير هذه الاسباب في تعليل وجود الشيعيين في لبنان.

وبينا نحن ننتظر نتيجة ابحاث جديدة، لا نرى بأساً في الموافقة على ما قاله ايبرس ( Ebers ) وگوطه ( Guthe ) في الموضوع وهو : « من الممكن ان يكون المتاولة اعتزلوا عن سائر سكان لبنان وانتيلبنان بسبب معتقداتهم الخاصة. وانهم لا يمثلون قطعاً بقايا آمـة كبيرة »[1] اما رينان فيقول : « ان لبنان قبر عالم قديم قائم بذاته تلاشى برجاله واملاكه ... وما المتاولة والعرب ... فيه الا من عهد حديث . »[2] ولا بأس ايضاً في قبول رأي رينان بشرط الّا نميّز بين المتاولة والعرب . فان جبل عاملة[3] ، المدعو اليوم جبل عامل ، والقائم بين صيدا وصور حيث مركز المتاولة المهمّ ، يأتي اسمه من بني عاملة[4] ، وهم قبيلة من جُذام . فيكون ان عقائد الشيعة الامامية اخذت ، بعد القرن الثالث الهجري ، تنتشر بين افراد بني عاملة الذين كانوا يسكنون بلاد الجليل على قول اليعقوبي[5] . وبكلمة اخرى يجب ان نعدّ بني عاملة مَن سلفاء متاولة لبنان.

---

١) *Palaestina im Bild und Wort*, II, 35.

٢) Renan, *Mission de Phénicie* 217.

٣) المقدسي : الكتاب المذكور ، ص ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٤

٤) راجع Lammens, *Califat de Yazid*, 273

٥) اليعقوبي : الكتاب المذكور ، ٣٢٧ ، السطر ٢

## معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جمجع

٤

# بعض حوادث تاريخية

## قصة حمامة

ما حمامة هذه الا جميلة « جميلة تحت الارز » . هي ابنة صوما حنوش كيروز فاقت اقرانها جمالاً وتهذيباً ، فكثر طلابها . وقضت الظروف فتزوجت برجل من دير الاحمر قد شغف بها وابعدها عن ابن عمها طالبها . فجمالها كان سبب تعاستها حتى اضحى رجلها يتشكى عليها . وقد حملته غيرته على اتهامها بانها تحب متوالياً . وكان يتخيل له ان الطير يحمل اليها رسالة المتوالي ، فابغضها بغضاً شديداً وشكاها لاهلها . فلا دفاعها ولا حلفها اقنع والديها انها بعيدة عن ذلك ، وانها نصرانية محافظة على شرفها وشرف اهلها . ثم مضت عدة ايام على ذلك والسلام سائد . وبينما كان اهلها مجتمعين في بشوات جاءهم رجلها باكياً قائلاً ان حمامة رامت ذبحه تخلصاً منه ، وابان لهم جرحاً في خده لانه قال بينما كانت تحلق له صوّبت الموسى الى عنقه . ففار دم اهلها ودعوها ، ثم اوقفوها على رجمة واحاطوا بها مسلحين بالبواريد . فوبخوها واهانوها وصوّبوا البواريد نحوها . فكانت تتلوى يميناً وشمالاً ، دموعها سائلة ووجهها مصفر . فلا دموعها ولا جمالها ولا عمرها ولا رجاها حنّن قلوبهم . وما كان من الاب الا ان بدأ باطلاق الرصاص عليها ، ثم اخوتها ، ثم اولاد عمها . وما زالوا يرمونها حتى فاضت روحها فطمروها بالرجمة التي لم تزل تسمى باسمها . وبعد مدة جاء رجلها وتشكى

عليهم، فاضطروا لدفع مال كثير تسكيناً له وقالوا قد استعجلنا . . .حقاً ان في العجلة ندامة . وما من احد يطالع هــذه القصة الا ويحنق على والدي حمامــة واهلها ناسباً اليهم قساوة بربرية متمنياً لهم كل شر. على اننا نشير عليه ان يضع ذاته في ذلك العصر، عصر الهمجية والسذاجة والاندفاع ، عصر الانفس الابية، فيعذر . وليعلم ان العادة كانت كشريعة منزلة تأمر بقتل الزاني والزانية.

## موقعة وادي الجماجم

سنة ١٨٥٨، سلب رجال الضنية بيت عزيزة ، معاز بشراوي،واخذوا مئتي رأس ماعز . فذهب سبعون رجلاً من بشري الى وادي الجماجم ، ونهبوا ثلاثة رؤوس خيل ، وخمسمائة راس غنم ، وطردوا العرب واهل الضنية ، ورجعوا غانمين . وبينما هم في الطريق اذ احاط بهم العرب واهل الضنية ، فتركوا ما سلبوه بيد اسحق شبله وكان رجل بأس . واخذوا يصادمون العدو مدة سبع ساعات. وبينما هم في هذه الحالــة ، حضر من دير الاحمر عدد من اهالي بشري على رأسهم يوسف لحود قمر جعجع ، وباغتوا العدو وطردوه . وخلصوا الغنم ورجعوا ظافرين.

وسنة ١٨٥٩ سرق اهالي عكار اربعمئة راس ماعز . فهاج اهــل بشري وتتبعوا السارقين ، ونهبوا سبع مئة رأس غنم ومئتي رأس بقر وبغال . ورجعوا ظافرين بعد ان ردوا العرب واهل عكار الى الوراء.

## مقتل احد بكوات عكار

قتل هذا البــك رجلاً من بشري ، وهو في عكار ، فعلم اهــل بشري واستعدوا لاخذ الثأر . فتقدم حبيب ملكون وتكفل لهم قائــلاً : اني ملتزم باخذ الثأر ، لان المقتول نسيبي . واتكفل لكم بذلك . فاجتمع الزعماء وقرروا ذهابه . فاعطاه الشيخ جبرائيل ابي رعد جعجع مسدساً محشواً وقال له: «اذهب ومعك فرصة ثمانية ايام . وان ما رجعت في هذه المدة نتبعك» فودعهم قائلاً : «اني اكون عندكم في النهار الثامن» ثم توجه الى عكار وراقب البك المطلوب. وكان هذا البك ينام في عرزال (اي خيمة فيها سرير بين شجرتين) فتسلق اليه

وافرغ في بطنه المسدس فارداه قتيلاً . وفي النهار الثامن وصل الى بشري.

## شر اهدن وبشري

في ايام الزيتون ، في الساحل ، سنة ١٨٥٦ ، في اول كانون الاول ، تخاصم لحود شيبان من بشري ، وحرمة من زغرتا . فاهانه المدانة . فبلغ الخبر بشري ، فذهبت الرجال الى اهدن فوجدوها خالية خاوية . فانحدروا الى ايطو ، قاصدين زغرتا . وبينما هم هناك ، صعد يوسف بك كرم مع رجاله الى اهدن محافظة عليها ، فرجع اهالي بشري من ايطو الى عين بقرة ، وانقسموا فرقتين قاد احداهما حنا سعد جبران والاخرى اسحق لحود جعجع . فتوجه اسحق لحود الى عين الوحش ، غربي اهدن ، وقتل هدنانياً . اما حنا سعد فهجم على جسر اهدن ، فصادمته المدانة ، وصار الشر في سهل بقوفا ، ودام الى المساء . وكان السلاح عصياً وحجارة . فلم يُصب احد الا ببعض جروح . فتدخل اوجه البلاد لمصالحة الخصمين ، وعينوا سرعل محلًا للمواجهة . فحضر زعيم بشري بطرس بك حنا الضاهر ، وزعيم اهدن يوسف بك كرم . وكان كل واحد منهما يطلب حضور الآخر اليه ، والفاصل بينهما كان عشرين قدماً ، فانفصلا ، وانقلبا مملوءين شراً.

وبعد مدة حضر من بعلبك الشراويين بقيادة طنوس منيانس . وتوجه الرجال الى البغلة ، الحد الفاصل بين اراضي اهدن وبشري ، وهناك صارت مناوشة بين بعض الرجال من الطرفين . فاشتد الخصام ، وطُرح الصوت ، فاتت المدانة وعلق الشر . فردت اهالي بشري المدانة الى الوراء . فحضر يوسف بك بنجدة مع ذخيرة حربية وقال للهدانة بلهجة قوية : « اما الثبات والانتصار. واما تركّكم نساءكم واموالكم وذهابكم الى البحر » ثم تقدم وهجم امامهم ، فارتدوا الى الحرب . وطال اطلاق الرصاص بين الفريقين ، حتى وقف من جهة الشراويين لان الذخيرة نفدت منهم . فلما ادرك رجال اهدن ان الشراويين توقفوا عن اطلاق الرصاص ، توقفوا هم ايضاً وتبعوهم الى البغلة . وهناك هبطت ضبابة قوية فحجبت الفريقين . فرجع رجال اهدن فرحين ظافرين ورجال بشري لائمين زعيمهم بطرس بك حنا الضاهر لانه لم يرسل اليهم الذخيرة.

ودامت العداوة بين الطرفين وقطع اهالي بشري الماء عن ارض اهدن في بقرقا.

ثم في سنة ١٨٥٧ دبّت العداوة في بشري بين فريقين، فانحاز فريق منهم الى يوسف بك كرم سرّاً، وكانوا يخابرونه بكل ما يجري في بشري. وفي ٢٩ تموز من السنة نفسها، اعلموا يوسف بك ان بشري خالية من الرجال. فاهل بعلبك رجعت الى اراضيهم، ورجال بشري في حقولهم. فاتى يوسف بك الى مار تادروس، غربي شمالي بشري، وارسل بطرس توما مع بعض رجاله الى الحريم فوجد هناك يوسف بلنكا من بشري فمنعه عن الدخول. فارسل البك ثلاثين نفرًا الى الوادي ليدخلوا بشري على بغتة من اسفلها. ولما وصلوا الى مار الياس، اسفل بشري، وجدوا حنا حنوش فرمى رجلًا منهم اسمه مخائيل الراهب فوقع قتيلًا، فتركوه ودخلوا البلدة. ولما وصلوا الى بيت الحكيم، وجدوا اسحق الحكيم صاعدًا على سلّم بيته فقتلوه بدل قتيلهم. ولما وصلوا الى ساحة مار سابا صادفهم توما سمور ورمى رجلًا منهم فسقط على الارض. فصعدوا الى الحارة الفوقا واخذوا بنهب حارة بيت الفخري. فجاءهم موسى خوري يعقوب. ورمى مخائيل السيدة من اهدن. وكان بشير غصيبه في مارسركيس مع اهله وذويه، فلما سمعوا بالخبر رجعوا الى بشري للمدافعة، فسبقهم بطرس غصيبه وتتبع الهدانة خارجين من البلدة، فمسك رجلًا منهم قرب طاحون شحاده ومدّه وابتدأ يذبحه، فقال له: «انا دخيل مريم انا في حمايتها فاعف عني». فقال له: «عفوت اكراماً لمريم العذراء». ثم تقدم الى سيدة النور فوجد ابن عمه ضاهر غصيبه قاتلًا هدنانياً. فاعلمه بعفوه، فلامه على ذلك. وفي مرورهم بالحرزمانة حرقوا خصّي قزّ احدهما الخوري مبارك كيروز، والآخر الخوري جبرائيل جعجع. وبذلك اخذوا ثأرهم من بشري.

ولما وصلوا الى يوسف بك كرم واخبروه بما جرى وبّخهم وشتمهم قائلًا لهم: «انتم كلاب وقائدكم سبع، واهل بشري سباع وقائدهم كلب.» فقالوا له: «انا عند سيدة النور نظرنا حرمة متوشحة بثوب ابيض يتقدمها فارسان احدهما سالًا سيفه والآخر مشرعاً سنان رمحه، فاخذتنا الرعبة».

فرجع الى اهـدن مع رجـاله . ولبث الخصام بينهما يزداد يوماً عن يوم باغانيهم . فرجال اهدن تقول :

يا بارود الفيماني والتوك من القداحه
الله يشيد يوسف بك دقّ البوري بالساحه

ورجال بشري يترنمون :

يا بارود الفيمـاني والتوك من القدّاحه
الله يشيـد بشري خلوا بقوفا بـلا فلاحه

وبعد مدة حضر سيادة المطران يوسف جعجع من قرنة شهوان وجمع اوجه البلدتين في بقوفا ، واصلحهم بعد ان خطب فيهم خطاباً نفيساً .

## اختلاف البشراويين

ذكر الدبس في تاريخه (عدد ١٩) :

« في سنة ١٧٦٤ تولى الحكم اولاد الامير يوسف . وكانوا يتناوبون جبة بشري فمنهم من كان يولي مشايخ بيت عيسى الخوري ، ومنهم من كان يولي مشايخ بيت حنا الضاهر . فاشتد الانقسام وظهر لكل خصم مساعد فترك بيت عيسى الخوري بشري وذهبوا الى مزيارة . وطال الامر عليهم ، وخصمهم قدير ، وقد استبد في حكمه . فدبت النخوة في بيت جعجع فذهبوا واتوا بعيسى الخوري الى بشري . فلما نظر ذلك حنا ضاهر ارسل واعلم ابن الامير يوسف . وهذا بعث اربعين خيالاً للقبض على عيسى الخوري نفياً لـه من بشري . وكان لعيسى الخوري امرأة فاضلة قادرة متقدة بالفطنة والذكاء . فـاستقبلت الخيالـة بوجه بشوش واكرمتهم باحسن معاملة . فكانت يومياً تقدم لهم ذبيحة واكلاً فاخراً ولم تتركهم يحتاجون لشيء . فمضت مدة على ذلك والخيالـة لا تنظر الشيخ عيسى الخوري . فملوا من الاقامة وسألوا عنه فاجابتهم ان عيسى مريض جداً لا يمكنه الحراك . ولو كان في حالة الصحة لاحسن استقبالهم وزاد في اكرامهم . ثم اعطت كل خيـال قميصاً من حرير مع عشرة غوازي من ذهب . ففرحوا بذلك وكتبوا للامير ان الشيخ عيسى لم يتمكنوا منـه لانه مريض . فاتاهم الجواب بترك المحل . فاخبروا امرأة الشيخ ووعدوها ان الامير صفح عنـه . »

ومن ذلك الوقت مكث حكاماً في بشري بيت عيسى الخوري وبيت حنا الضاهر وكل منهما حكم مقاطعة كما كان ذلك على عهد المتاولة.

# بعض التقاليد في بشري

## نبع قاديشا

من تقاليدهم في نبع قاديشا انه كان تحت النبع عين ماء لا يدع صاحبها احداً يشرب الا بعد ان يستوفي ثمن الشربة. فحضرت يوماً حرمة، وعلى يدها ولد يصرخ قائلاً: « انا عطشان يا اماه.» فطلبت ان تسقيه فلم يمكنها من ذلك صاحب العين. فاخذت الام منديلها عن رأسها ورمته في العين لترطب بعصيره شفتي ولدها العطشان. فما كان من هذا الرجل القاسي الا انه خطف المنديل وعصره جيداً وسلمه الى الوالدة. فتوارت عنه حزينة. ولما بعدت انفجر النبع، وجرف الرجل مع بيته وامواله. فلذلك سمي نبع قاديشا، لانهم يعتقدون كل الاعتقاد ان هذه الحرمة هي مريم العذراء. والطفل هو يسوع المسيح.

## نبع مار سمعان

هذا النبع المشتهر ببرودة مياهه العذبة هو حياة لاملاك بشري وما يجاورها كحدشيت، وبلوزة، وبان، ومشمشية، وعين البقرة، والوادي، ودير قنوبين، وبعض اراضي بقوفا وكفرصغاب. جف هذا النبع سنة ٤٧٨ فتضايقت الاهالي. وكان في ذلك الزمان رجل القداسة وعمال العجائب القديس سمعان العامودي قرب انطاكية. فارسلوا اليه طالبين منه النبع. فرجع المرسلون وقالوا: «قال لنا عليكم ان تصعدوا الى باب النبع مدة ثمانية ايام وكل يوم يتلى القداس على بابه وبعد الذبيحة يرمي الكاهن بحصة» ففعلوا بامانة عظيمة. وفي النهار الثامن انفجر النبع كما هو الآن فسموه بنبع مار سمعان. واكراماً له خصصوا كل سنة صوم تسعة ايام قبل ظهور الاعجوبة، ونهار العيد كانوا يتركون المياه تجري لا يسقي احد منها.

## الارز

اعتقاد اهل بشري فيه انه غرسة الرب تبعاً لقول النبي داود (مزمور ١٠٣): « اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها هناك تعشش العصافير ». فلذلك اطلقوا عليه اسم « الارز المقدس » في جبل لبنان . ثم انهم يعتقدون ان تحت الارز ٣٦٦ مذبحاً يقام القداس عليها ليلاً ونهاراً.

وهم يحرمون من اخذ منه حطباً ، والويل له . يقولون ان معازاً احتطب منه واوقد النار تحت حلة الحليب فصار الحليب دماً ، وان رجلاً حمل حماره حطباً منه فوصل لطرف الارز ووقف الحمار رغماً من ان الرجل كان يضربه ، ولما ترك الحمل ذهب مسرعاً . وكذلك يمنعون اختلاط النساء والرجال على غصن واحد ، فمتى اختلطوا اكسر الغصن حالاً . واكراماً للارز كرسوا كل شهر مريم لزيارته فكانوا يتوجهون منهم مكشوفو الرأس ، ومنهم حفاة ، ومنهم في ايديهم المسابح منشدين الاناشيد للارز المقدس.

ولنترك الكلام للاستاذ فؤاد البستاني ، على اثر زيارته الارز سنة ١٩٢٩.

« اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها » ( المزمور ١٠٣ : ١٦ )

« يقطع المسافر مناطق لبنان الشمالي ، غير عابئ بالمشقات ، ولا مبالٍ بالماكسات ، تائقاً الى مشاهدة تلك الشجرات الخالدة التي طالما زينتها في مخيلته اقوال الكتاب والشعراء . من صاحب المزامير الى احدث مؤلف ، واحاطتها بهالة من العظمة والقداسة . حتى اذا رقي هضبة بشراي لاهثاً ، وبدت له غابة الارز بقعة خضراء مسودة في سفح الجبل الاغبر ، شعر بشيء من الكآبة خالـه ناتجاً عن عدم التناسب بين تلك الاوصاف التقليدية وحقيقة الارز . . .

« على انه يكاد لا يدخل ذاك الحمى المطمئن ، فتلقي عليه اغصان الارز ظلها الكثيف ، حتى يحس بروعة العظمة والجمال وقد هبطت عليه فامتلكت فؤاده ، وتسلطت على جوارحه ، فحنى الرأس ، وخفض الصوت ، واستسلم لنوع من الرهبة الدينية ، اذ شعر انه حقيقة بين « اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها »

« في مثل هذه العواطف ، دخلنا الحمى المقدس . وجلنا بين ارزاته بكل

سكون نكاد لا نطأ الثرى الا برفق، ونكاد لا نتكلم الا همساً، مشاركين في ذلك، دون انتباه، تلك الطبيعة الهادئة التي لا تحرك اعاصيرها اغصان الارز الّا بتؤدة، ولا يحمل نسيمها ريح الارز الا بهبّات خفيفة تكتنف الانسان من حيث لا يشعر، فتحيطه بجوٍ لطيف من الرائحة الزكية. هذا فضلًا عن ان ما على الارض من مسلّات الارز المتراكمة يكوّن طبقةً لينة يمشي عليها الزائر فلا يُسمع صوت خطواته.

«في تلك العزلة الهادئة، ينطرح الانسان مغبوطاً، كأنه وصل الى قمة امانيه ومطامحه، فيغفل عن حاجاته المتعددة، ويسلو احزانه المؤلمة، ويرتفع من محيط البشرية الضيّق بما فيه من المنافسات والمشاحنات التافهة، فينسى انه انسان، ويودّ لو اتيح له الحياة والموت في تلك الظلال الوارفة، فيردّد:

يا بني امي اذا حضرت ساعتي والطب اسلمني
فاحفروا في الارز مقبرتي، وخذوا من ثلجه كفني.

«للارز سور من الحجر يرقى الى عهد رستم باشا، احد متصرفي لبنان السابقين (١٨٧٣ ١٨٨٣) امر ببنائه على اثر ما كان من اقتطاع الاهلين حطب الارز دون شفقة، وابتذالهم ارضه المقدسة دون اعتبار. وعيّن له ثلاثة نواطير ليحرسوا الغابة من المعتدين، فيمنعوا قطع الاغصان، واشعال النار، وادخال المواشي. وكان ان البطريرك الماروني اصدر امراً بمنع الزوّار عن اقتطاع الاغصان، كل ذلك حفظاً لتلك الشجرات الباقية من الاندثار...

«ثم انتقلنا الى الجولان في الغابة، وفيها نحو الاربع مئة جبار تراوح اعمارهم بين ثلاثة آلاف ومئتي سنة. اما شيوخ الجبابرة فاثنتا عشرة شجرة لاغير تحمل في جزوعها الضخمة تاريخ بلادنا منذ عهد الفينيقيين، وتبقى على كرّ الايام مثال العظمة ورمز الخلود...

«وهكذا جلنا في بلاد بشراي، مهد الطائفة المارونية، من البلدة نفسها الى نبع قاديشا، الى واديه المقدس، الى الحبساء والنساك والرهبان، الى الارز الخالد. وفي كل ذلك تتوافر لدينا المعلومات التقليدية يختلط تاريخها بالاساطير وتسمو به الى درجة عالية من التأثير والجمال...» (انتهى)

# شذرات

## نتيجة الاحصاء الاخير في الجمهورية اللبنانية

يذكر القراء الكرام انه في اليوم الحادي والثلاثين من كانون الثاني جرى احصاء عام لجميع سكان الجمهورية اللبنانية . وكانت وزارة الداخلية قد اتخذت جميع التدابير لانهاء اعمال الاحصاء المذكور في يوم واحد . وهكذا كان . على ان الاوراق التي مُلئت في اقلّ من ٢٤ ساعة اقتضى لفرزها وترتيبها نحو ثمانية اشهر . فكانت النتيجة ان اللبنانيين يبلغون اليوم ٦٧٥ ١٠٩ ١ نفساً ، ويشتمل هذا العدد على اللبنانيين المقيمين في ارض الجمهورية او الغائبين موقتاً ، وعلى المهاجرين المعروفة اسماؤهم واماكن سكناهم ، دفعوا الضرائب ام لا ، وعلى الاجانب . وقد كان هذا المجموع من عشر سنوات ، اي في سنة ١٩٢١ اذ اجري الاحصاء العام لدولة لبنان الكبير ، ٥٦٢ ٧١٠ نفساً . فتكون الزيادة ١١٣ ٣٩٩ اي ما يزيد على نصف العدد السابق . ولكن هذه الزيادة العظيمة لا تنتج كلها عن زيادة المواليد ، بل عن ان كثيراً من المهاجرين اللبنانيين لم يحصوا في الاحصاء السابق ، وعن زيادة العناصر الغريبة المهاجرة الى لبنان كالارمن ، وقد اصبح الكثير منهم لبنانيين ، والاجانب من مختلف الجنسيات ، وعن ان جمهوراً من اللبنانيين كانوا يخافون من نتائج الاحصاء فلم يتقدموا لقيد اسمائهم في الاحصاء السابق . وها اننا ننشر في ما يلي مقابلات مفيدة بين نتائج هذا الاحصاء ونتائج الاحصاء الماضي بادئين بجدول توزع فيه النتائج على المقيمين والمهاجرين والاجانب

| | | ١٩٢١ | ١٩٣٢ |
|---|---|---|---|
| لبنانيون مقيمون | | ٥٢٨ ٥٥٩ | ٣٩٦ ٧٩٣ |
| لبنانيون مهاجرون | يدفعون ضرائب | ٥٤١ ٤٩ | ٩٨٧ ٢٥٤ |
| | لا يدفعون | ٢٤٣ ٨١ | |
| اجانب | | ٢٥٠ ٢٠ | ٢٩٢ ٦١ |
| المجموع | | ٥٦٢ ٧١٠ | ٦٧٥ ١٠٩ ١ |

وهذا في ما يلي جدول اللبنانيين المقيمين موزّعين حسب الطوائف:

| | ١٩٢١ | ١٩٣٢ |
|---|---|---|
| موارنة | ١٧٥ ٧٠١ | ٢٢٧ ٨٠٠ |
| سنيون | ١٢١ ٩٦٢ | ١٧٨ ١٠٠ |
| شيعيون | ١٠٣ ٠٦٨ | ١٥٥ ٠٢٥ |
| روم ارثوذكس | ٦٨ ٤١٦ | ٧٧ ٣١٢ |
| دروز | ٣٩ ٨٤١ | ٥٣ ٣٣٤ |
| روم كاثوليك | ٣٨ ٥٥٩ | ٤٦ ٧٠٩ |
| پروتستانت | ٣ ٧٣٠ | ١ ٨٦٩ |
| ارمن ارثوذكس | | ٢٦ ١٠٢ |
| ارمن كاثوليك | | ٥ ٨٩٠ |
| سريان ارثوذكس | | ٢ ٧٢٣ |
| سريان كاثوليك | ٨ ٢٥١ | ٢ ٨٠٣ |
| كلدان ارثوذكس | | ١٩٠ |
| كلدان كاثوليك | | ٥٤٨ |
| اسرائيليون | | ٣ ٥٨٨ |
| سائر الطوائف | | ١١ ٤٠٣ |
| | ٥٥٩ ٥٢٨ | ٧٩٣ ٣٩٦ |

وهذه الطوائف جميعها اعتبارًا من الأرمن الارثوذكس البالغة في الاحصاء ٤١ ٨٤٤ كانت مجموعة في الاحصاء الماضي تحت عنوان « طوائف مختلفة » مع ما بقي من المتفرقات كاللاتين وغيرهم ، وقد كان عدد الجميع يبلغ ٨ ٢٥١ لا غير.

وهاك جدولًا آخر موزّع فيه اللبنانيون المقيمون على المحافظات مع ، قسمة نتيجة الاحصاء الاخير الى ذكور واناث :

| | ١٩٢١ | ١٩٣٢ ذكور | ١٩٣٢ اناث |
|---|---|---|---|
| بيروت | ٧٧ ٢٩٢ | ٥٦ ١٥٥ | ٥٧ ٢٤٩ |
| جبل لبنان | ١٥٣ ٠٩٨ | ١١٤ ٥٣٢ | ١١٢ ٨٦٧ |
| لبنان الجنوبي | ١٠٩ ٦٩٨ | ٨٦ ٠٥٢ | ٨٨ ٨٦٩ |
| لبنان الشمالي | ١٢٦ ٣٨٦ | ٧٤ ٠٨٣ | ٧٧ ٩٠٥ |
| البقاع | ٩٣ ٠٥٤ | ٥٨ ٧٩١ | ٥٩ ٢٢٦ |
| | ٥٥٩ ٥٢٨ | ٣٨٩ ٦١٣ | ٣٩٦ ١١٦ |

يُضاف الى مجموع ١٩٣٢ عدد ٦٦٧ ٧ من اللبنانيين الغائبين موقتاً عن اماكنهم يوم الاحصاء. فيحصل المجموع العام للبنانيين المقيمين وهو ٣٩٦ ٧٩٣

بقي ان نذكر شيئاً عن طوائف المهاجرين ، وهي كما يلي في احصاء السنة الحالية :

| | | مجموع المقيمين والمهاجرين |
|---|---|---|
| موارنة | ١٢٣ ٣٩٧ | ٣٥١ ١٩٧ |
| روم ارثوذكس | ٥٧ ٠٣١ | ١٣٤ ٣٤٣ |
| روم كاثوليك | ٢٩ ٦٢٧ | ٧٦ ٣٣٦ |
| سنيون | ١٧ ٢٠٥ | ١٩٥ ٣٠٥ |
| شيعيون | ١١ ٥٢٠ | ١٦٦ ٥٤٥ |
| دروز | ٨ ٧٥٠ | ٦٢ ٠٨٤ |
| من طوائف مختلفة | ٧ ٤٥٧ | |
| | ٢٥٤ ٩٨٧ | |

على ان هذا العدد أبعد من ان يمثل المهاجرين جميعهم . فهناك كثير من اللبنانيين لم يتركوا في لبنان من يعرف اسماءهم ومقرّهم بالتمام ، وهناك كثير ايضاً ممن تركوا اقرباء في لبنان . ولكن هؤلاء لا يعرفون ما جدّ لمهاجريهم من اولاد ؛ واذا عرفوا فلا يذكرون عدد هؤلاء الاولاد ولا اسماءهم .

## اكليريكية القديسة حنة بالقدس

اشرنا سابقاً (المشرق ١٩٣١ ص ٩٥٠) الى الاحتفال بمرور خمسين سنة على تأسيس مدرسة القديسة حنة الاكليريكية في القدس الشريف . ويطيب لنا اليوم ان نذكر بعض المعلومات عن اساتذتها وتلامذتها مدة نصف قرن ، نأخذ ذلك عن الكتيّب الجميل الذي نشره بهذه المناسبة ، حضرة الارشيمندريت فيلبس غره(١ قال (ص ٣٣ - ٣٦) :

اذا ذكرنا في هذا العام اكليريكية القديسة حنة وجب علينا ان نذكر المئة والاربعين أباً او أخاً من المرسلين البيض الذين أُرسلوا اليها وخدموها بمدد متفاوتة في مدة نصف جيل . وقد ورد اسماء بعضهم في سياق مقالنا ، ويطيب لنا ذكر ثمانية آخرين ترقّوا بعد خدمتهم الاكليريكية الى رتبة الاسقفية وتعيّنوا نواباً رسوليين في رسالات افريقيــة . وهم السادة الموقرون أناطول طولوت (Mgr. Anatole Toulotte) ، جان هيرت (Mgr. Jean Hirth) ، هنري ستريشر (Mgr. Henri Streicher) ، جان فوربس (Mgr. Jean Forbes) ، فكتور رولنس (Mgr. Victor Rœlens) ، اسطفان لارو (Mgr. Etienne Larue) ، يوليـان غورجو (Mgr. Julien Gorju) ، بول مـاري مولان (Mgr. Paul Marie Molin)...

يؤخذ من مراجعة سجلات المدرسة ان التلامذة الذين أمّوها من شهر كانون الثـاني سنة ١٨٨٢ الى شهر ايلول سنة ١٩٣١ بلغ عددهم نحو ٩٤٠ تلميذاً . ومن هذا العـدد انتهى الى درجة الكهنوت المقدس ١٤٠ كاهناً على وجه التقريب . فان بضعة تلامذة منهم بعـد ملازمتهم اكليريكية القديسة حنة ردحاً من الزمان أنهوا دروسهم ونالوا الرسامة خارجاً عنها . وقـد أهلت العناية الالهية سبعة من هذه الطغمة لان يترقوا الى رتبة الاسقفية وهم المطارنة الموقرون : السيد مكسيموس صـائغ ، السيد استفانوس سكريه رحمه الله ، السيد باسيليوس خوري ، السيد انطونيوس فرج ، السيد ملاتيوس ابو عسله ، السيد يوسف كلاس ، السيد نقولاوس نبعـه الراهب المخلصي الذي قضى عشر

١) للذكرى والتـاريخ : سنة الخمسين لتأسيس اكليريكية القديسة حنة بالقدس ١٨٨٢ — ١٩٣٢ — ٤١ صفحة متوسطة مع عدة صور — مطبعة القديس بولس في حريصا .

سنوات في اكليريكية القديسة حنة ثم اضطر الى مغادرتها قبل انهاء دروسه اللاهوتية فيها بسنتين فقط لما أعلنت الحرب الكونية سنة ١٩١٤

على اننا اذ رمنا ان نحكم حكماً صحيحاً في النتائج وان نقارن النسبة بين عدد الطلاب الذين أموا المدرسة وعدد الذين بلغوا الغاية المنشودة اي الكهنوت وجب علينا اولاً ان نطرح جانباً من مجموع ٩٤٠ ما يعادل نحو ١٤٠ تلميذاً الذين شتتهم الحرب عندما اقفلت المدرسة ابوابها سنة ١٩١٤ . فان اكثرهم لم يعودوا اليها عقيب سنوات الحرب الخمس لاسباب يسهل ادراكها . ويقتضي ثانياً ابعاد من الثمانية الباقين نحو مئة تلميذ لم يثبتوا في المدرسة الّا بضعة ايام او بضعة اسابيع . فيبقى اذاً امامنا رصيد المجموع الكلي ٧٠٠ وهو عدد التلامذة الذين زاولوا دروسهم في الاكليريكية مدّة سنة واحدة على الاقل . فاذا قدرنا هذه الاحوال الخاصة واعتمدنا الرقم الاخير يكون عدد الكهنة نسبةً الى هذا المجموع نسبة ٢٠/١٠٠ اي الخمس . ولو تحققت أمنية الآباء البيض وأمنية بعض اساقفتنا الموقرين بان يكون لمدرسة القدس مدرسة تحضيرية بلبنان يُختبر فيها التلامذة قبل دخولهم اكليريكية القديسة حنة لكانت نتائج هذه اوفر وفوائدها اكثر

## القرآن العربي بالحروف اللاتينية

تولّى حلمي افندي ، احد اصحاب المطابع المشهورة في استانبول ، طبع القرآن العربي بالحروف اللاتينية . وهو يفكر في نشره في جميع البلاد التي فيها مسلمون لا يحسنون قراءة اللغة العربية - ويعدّ عمله هذا محاولة عظيمة القيمة لاثبات كون اللغة العربية يمكن ان تكتب بالحروف اللاتينية ليسهل تعلمها ، وقد عمّ تدريس القرآن بالحروف اللاتينية جميع انحاء تركية . والنشء الجديد الذي يتمّ علومه بعد اربع سنوات سيخرج من المدارس وهو لا يعرف حرفاً واحداً من الحروف العربية ، بحيث لا يمضي زمن طويل حتى تصبح هذه الحروف غريبة عن تركية كما هي غريبة عن سائر الدول الاوربية .

# مطبوعات شرقية جديدة

**M.-J. Lagrange : M. Loisy et le Modernisme.** *A propos des «Mémoires»* 1 *vol. in-8º de* 250 *pp. Prix:* 15 *f. Les éditions du Cerf. Juvisy. Seine-et-Oise.* 1932.

السيد لوازي والحركة العصرية

نشر السيد لوازي مذكراته فكان فيها اميناً على اتباع اسلوبه السابق من الاكتفاء بنظرته الشخصية الضيقة في جميع الامور، ومن التلذذ بتأثراته وتذمراته. فكان من الخير ان يقوم احد من شهدوا ابتداء الازمة الدينية في عقلية المؤلف، فيقابل بين ذكرياته ووثائقه ومستنداته هو وبين ما يسرده السيد لوازي في كتابه المذكور، فيخدم الحقيقة وينير الناس. اما هذا الشاهد العدل فكان الاب لاگرانج، فنشر هذا الكتاب الجديد، قائلاً في مقدمته:

« اني اودّ ان اقاوم مرة جديدة، وان بطريقة يكتنفها النقص، هذه الآراء التي يشيدها اصحابها على آساس واهية. امثال ما ينتج من مذكرات السيد لوازي في مجلداتها الثلاثة، من ان الكنيسة، في عدم تساهلها، ظلمت المؤلف، ومن ان عقيدته التي انزلت بها حكمها القاسي، لم تكن الّا نتيجة نقد علمي يجب على الكنيسة ان تنحني امامها وتكفّر لديها لتتمكن من تخليص نفسها ...

« ولهذا فاني اودّ ان اظهر للملأ ان الكنيسة لم يكن بامكانها ان تتخلّص من واجب كان يقضي عليها بانزال حكمها القاسي ببدعة فظيعة. فيجلو الشكّ عن عقول بعض الناس من الذين يستغربون كيف احتملت السلطة، طول تلك المدة، ان تبدو مخدوعة برجل جعل موقفه مبهماً ملتبساً عن عمد وتصميم. »

وقد قسم الاب لاگرانج كتابه الى قسمين خصّ الاول منها بالحوادث التاريخية، متتبعاً نصّ « المذكرات » مرحلة مرحلة منذ سني الدراسة الاكليريكية حتى سنة اليوبيل ١٩٢٧. وفي هذا القسم معلومات جديرة بالذكر في ما خصّ « المجلة الكتابية » و « اللجنة الكتابية » التي اسسها لاون الثالث عشر. اما

القسم الثاني الوافر المواد فيهتم بدرس طريقة السيد لوازي الدينية مظهرًا كل ما في نظريته الجوهرية من التعقل والاطلاق كنسية العقائد التي استنتجها من نقده التوراة . اما النقطة المركزية التي اختارها المؤلف فهي معنى الانجيل في ما خص شخصية المسيح ؛ وقد اتانا ، في ذلك ، بنظرة شملت جميع الطرق التفسيرية التي ظهرت منذ ثلاثين سنة . فيظهر ، والحالة هذه ، ان قيمة الكتاب تفوق قيمة « جواب » بسيط مهما كان من دقته وموافقته . فهو يسمو بوضوحه وصحة اسانيده على المجلدات الثلاثة الضخمة التي نشرها السيد لوازي ، فيصلح لتشييد التاريخ الديني في عصرنا ، ويأتي بشهادة حاسمة في الموضوع الحاضر .

**Eugène Raiga** : L'Envie. *vol. in-16. Prix : 15 f*. *Librairie Félix Alcan, Paris.*

الحسد

لا يخفى ما يمثل الحسد من دور مهم في العلاقات البشرية ، وهو ما دفع المؤلف الى القيام بهذا الدرس الدقيق في الفلسفة الاجتماعية والنفسية ، فكتبه بلغة سهلة ، واسلوب واضح ، خال من التعابير التجريدية والكلمات الوضعية ، مزدان بالملاحظات الدقيقة والامثلة والنوادر التاريخية . وقد تتبع هذا الهوى منذ نشأته ذاكرًا علاقاته بالغيرة ، وما يختص به كل منها من تأثيرات ومظاهر في المجتمع الانساني ، وما يجرّان اليه من تطور في صفات الفرد واعماله . الى غير ذلك مما يسرّ به مطالعو الكتاب ويستفيدون منه دون شك .

**Ferdinand Brunot** : Observations sur la Grammaire de l'Académie française. 2e *édition. Librairie E. Droz, Paris.*

ملاحظات على غراماطيق المجمع العلمي الفرنسوي

يجاهر المؤلف بانه لم يرغب في وضع اثر انتقادي جارح ولا في فتح باب للمناظرة والمشاحنة . اما المطالع المدقق المنصف فانه ، اذا ما انتهى من مطالعة « الملاحظات » البارزة اكثرها باسلوب رشيق طافح بالحياة التي قد تتجاوز الحدّ احيانًا ، يتردد شيئًا في اقرار المؤلف على مجاهرته تلك ، ولا سيما اذا انتبه لقراءة ما بين السطور من تلميح وتعريض . ولكن ما لنا ولذلك ولنبحث في

«الملاحظات» وحدها ، فنرى ان كثيرًا منها موافق يجـدر بالمجمع العلمي الاهتمام به ( مثلًا في الصفحات ١٦ و٢٤ و٥٠ و٧٣ ... ) على ان كثيرًا منها ايضاً يظهر على قسطٍ من المبالغة ( ص ١٠ و٢٧ و٦٣ ) ينتج ذلك من ان السيد برونو لم يشأ ان يرى رأيَ المجمع الـذي يدعو نفسه «مدوّن الاستعمال» . ولكن لا يخفى ان المقصود بذلك الاستعمال الصحيح المقبول لا الاستعمال المبتذل الفاسد . فقـام المجمع لا بدرس علمي دقيق بل بتأليف يستفيد منه جمهرة الناس ، وهو عمل من الصعوبة بمكان . وهناك ملاحظات للمؤلف لا يمكن ان نعدّها الّا من نوع المشاحنات النقدية حتى ان منها مـا يبعد عن الذوق ( ص ٦٧ — ٦٨ ) . وعلى كل فلا ننكر فائدة هذه الملاحظـات التي قد تدفع المجمع الى اعادة النظر في الغراماطيق المذكور ، فيرفعه من حسن الى احسن .

ب . ك .

Amiral Docteur : Carnet de bord 1914-1919. *in-12 de 252 pp. Prix : 12 fs. La Nouvelle Société d'édition, Paris.*

مذكرات الاميرال دكتور ١٩١٤ — ١٩١٩

قام مؤلف هذا الكتاب الغريب بواجباته مدة الحرب كلهـا اولًا تحت قيادة الاميرال بوي دي لاپيرير (Boué de Lapéreyre) ثم تحت قيادة الاميرال دارتيج دي فورنيه(Dartige du Fournet) فشاهد سير گوبين نحو الدردنيل، واشترك في حصار الادرياتيك ، وفي العمل على تموين ملك جبـل الاسود ، كما انه اخذ قسطه من التباس المسائل اليونانيـة ومن انكسار گاليپولي . وتحقق فقر الاسطول الفرنسوي بالوسائل الهجومية والدفاعية ، وعدم صلاحية المدافع ، وسوء الخلق في بعض رجال اركان الحرب . وكان كثيرًا ما يتسلّم الاوامر وما يعاكسها من «ضباط باريس» الذين لا يعرفون شيئاً من الصعوبات والمستحيلات . ومما اصابه من الحوادث الغريبة ان احد رجال البحرية اغترّ باسمه «دكتور» فاعتبره طبيب الجيش البحري الذي كان وكيل قائده . كل هذه الظروف ، مع ما هُو عليه المؤلف من رشاقة التعبير ودقة الملاحظة ولذع النكتة ، تجعل من الكتاب اثرًا لذيذًا للغاية .

**XXX : L'Eglise catholique en France.** *in*-12 *de* 250 *pp. Prix :* 12 *f*. *Mercure de France, Paris*, 1932.

الكنيسة الكاثوليكية في فرنسة

لا يتضمّن هذا الكتاب ما يرمي اليه العنوان من وصف حالة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسة . فان المؤلف ، الذي لم يجاهر باسمه ، يصوّر عقلية بعض الاكليروس غير الراضين عن سياسة البابوات في ما خصّ العلاقة بين الكنيسة والحكومة في فرنسة . فيبدأ كتابه بالقاء نظرة تاريخية على سلطة البابوات الزمنية ثم يبحث في السفارة البابوية في باريس ، وفي كنيسة فرنسة ، وتعيين الاساقفة ، والاكليروس ، واعمال التبشير ، والتعليم الديني والمدني ، والتهذيب والاعمال الخيرية ، والمشاكل الاجتماعية ، والسياسة الكاثوليكية . فينتج من كل ما تقدم انه ، بسبب الحركة المركزية التي لا تزال تزداد وتستقرّ في داخل الكنيسة (وهي ظاهرة عامّة نتحققها في شؤون الحكومة ايضاً)، فقد الاساقفة كثيراً من صلاحيتهم فلم يظلّوا اساقفة كمن ذي قبل.

ج. ل.

J. Bidez : Discours de Julien César — L'Empereur Julien, Œuvres complètes, t. I, 1er partie. [*Collection des Univ. de France*] *Société d'éditions Les Belles Lettres*, 1932.

خطب الامبراطور يوليانوس

هو الجزء الاول من آثار يوليانوس الجاحد يبدأ بالخطب طبقاً للتقليد المعروف . وقد قدّم عليها الناشر بحثاً تاريخياً وذكر معلومات مفيدة قبل كل خطاب . وعدد هذه الخطب خمس مواضيعها مدح الامبراطور كونستانس ، والامبراطورة اوسيبية ، واعمال الامبراطور ، وفي سالوست ، وخطاب موجّه الى مجلس الشيوخ والشعب في أثينة . هذا وقد نُشر مع النصّ الترجمة الفرنسوية وهي غاية في الدقة . على ان الاهتمام باظهار النصّ الاصلي يفوقها دقة ايضاً ، فان الناشر لم يتراجع امام شيء من الجهود والاتعاب في درس المخطوطات ومقابلتها.

ج. ل.

**E.-M. du L. : Madame Elisabeth de France.** 2 *vol. in-16, illustrés. Paris : 45 + 45 f. Librairie académique Perrin, Paris.*

مدام اليصابات دي فرانس

مدام اليصابت دي فرانس اخت الملك لويس السادس عشر، اشتهرت بتقواها وصلاح حياتها . فكتبت ترجمتها احدى الراهبات الكرمليات غير مكتفية بظاهر الصلاح والتقوى بل دققت في الحوادث التاريخية فصورت ذاك العصر المضطرب المتقلقل الذي فاز فيه عدد من الرعاع فانتزعوا من البلاد ملكها الشرعي. وقد كان المترجمة دور يُذكر في جميع تلك الحوادث لما اتصفت به من قوة ارادة ورباطة جأش اتصافَ اخيها بالضعف والاضطراب، حتى حُكم عليها بالموت حكماً ظهر بعيداً عن العدل حتى لبعض ارباب الثورة.

ج. ل.

**F. Charmot s. j. : L'art de se former l'esprit et de réussir au baccalauréat.** 2 *vol. in-12. J. de Gigord, Paris.*

فنّ التثقيف العقلي والنجاح في البكالوريا

ليس هذا الكتاب مجموع « وصفات » لطالبي النجاح في البكالوريا . بل هو دليل حكيم بصير يعرض في المجلد الاول نصائح عامّة مفيدة تدور كلها حول الشغل المدرسي على تنوع مظاهره كالشغل الحقيقي والشغل الغرّار، والشغل بالانتباه، والشغل النفعي، والشغل في المدرسة والشغل الشخصي، وغاية الشغل الحقيقية وما يساعد عليه من العوامل . ثم النجاح في الامتحانات، والشغل زمن العطلة المدرسية . يزين كل ذاك امثال كثيرة يعرضها المؤلف بكل موافقة دالاً على ثقافة عالية ونظر فسيح . اما المجلد الثاني فيهتم خصوصاً بالطرق العملية فيحصر موضوعه، ويخاطب الطلاب وحدهم . والمجلدان ضروريان لا يستغني عنهما احد من ارباب التعليم الثنوي . ج. ل.

**Acta Academiae Velehradensis.** *Annus XII. fasc. I-II. Olmütz,* 1932.

اعمال المجمع العلمي الفلهرادي

تظهر هذه الاعمال كل سنة في اربعة اجزاء، وغايتها العمل على وحدة الكنائس . وها قد بلغت مجلدها الثاني عشر داخلةً في كثير من المناطق المتباينة

اللغات ، بفضل اللغة اللاتينية التي تُنشر بها والتي يعرفها جميع ارباب الثقافة الاوربية اللاتينية . وفي هذا المجلد خاصة معلومات مفيدة عن حركة الاهتداءات بين الارثوذكس .

**Père Debout** O. S. C. : Vie de S^t^ Camille de Lellis, *écrite par le P. Santio Cicatelli, traduction de l'original, in-8° de* 514 *pp. Desclée, de Brouwer et Cie, Paris.*

حياة القديس كميل دي ليلّيس

ان القديس كميل دي ليلّيس (١٥٥٠ - ١٦١٥) مؤسس جمعية الاكليريكيين القانونيين الذين يهتمون بالمرضى . وقد أُعلن سنة ١٨٨٦ شفيعاً للمرضى والمستشفيات ، وأُدخل اسمه في طلبة المنازعين . اما ترجمة حياته فقد كتبها احد معاصريه من رهبانه . فتُرجمت الى الفرنسية في سبيل اطلاع المرضى عليها ، ومن يقوم بخدمتهم من الممرّضين والممرّضات وارباب الصلاح وراهبات المستشفيات . ولا يخفى كم كان يجد خدَمة المرضى من الصعوبات في القيام باعمالهم في الزمن الماضي ، وذلك لما كان يعترضهم من جهل قوانين الصحّة وطرق الوقاية ، ولما كان يهدّد صحّتهم وسلامتهم من سهولة انتشار الاوبئة بسبب الجهل المذكور .

ج . ل .

## اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس

تأليف مولاي عبد الرحمان ابن زيدان نقيب السادات الاشراف العلويين بمكناس

الجزء الثالث ، المطبعة الوطنية ، الرباط ١٣٤٩ – ١٩٣١ ق ٨ كبير ص ٦٠٠ مع الفهارس

وصف المشرق في العام الماضي جزءي هذا الكتاب الاولين معرّفاً القراء بصاحب التأليف النبيل . وها ان الجزء الثالث وصلنا وهو كأخويه الاولين مكتنظ بالتعليقات التاريخية والادبية ، متقن الطبع الا في بعض المواضع النادرة ، مزين بالرسوم اخصها صورة الرسالة التي بلغت الى المؤلف من جانب ملك مصر . ان الكتاب برمته مختص بالتراجم : اولها ترجمة الحسن بن عطية الونشريدي ، وآخرها ترجمة محمد بن عبد الله القاضي المكناسي . وقد تتفاوت التراجم طولاً . اطولها تحوي سيرة واعمال السلطان محمد بن عبد الله وتمتد من الصفحة ١٣٨ الى

٣٦٣ ، ويليها ترجمة خلفه السلطان محمد بن عبد الرحمان وتكاد توازيها طولاً .
كتب بروكلمان منذ زهاء ثلاثين سنة عن مراكش في كتابه المختصر على الآداب العربية : « ان مراكش لبلاد مغلقة غير معروفة امورها وهي في المغرب الاقصى كالصين في الشرق الاقصى » . ولكن ذلك الحكم دخل في خبر كان بفضل مولاي عبد الرحمان وغيره من المؤلفين العرب والافرنج الذين كتبوا عن البلاد المراكشية فاجادوا . على ان صاحب كتاب الاتحاف لم يخص منهم بالذكر الا العرب نسأل الله ان يطيل عمر المؤلف الجليل ، فيأتي على نهاية كتابه بما فيه من منافع للتاريخ والادب . ف . ت .

## القبط

### تأليف جرجس فيلوثاوس عوض

المطبعة المصرية الاهلية ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ق ٨ ص ١٧٢

وصف المشرق في سنيه الثلاث الاخيرة عدة مؤلفات للسيد جرجس فيلوثاوس عوض . وكل مواضيعها مأخوذة من تاريخ الامة القبطية ورجالها والمسائل المتعلقة بها . واهدى الينا حضرته مؤلفاً جديداً عالج فيه جملة مسائل على تاريخ الاقباط وفي الاخص مسألة تعداد المصريين كما كانوا ايام الفتح العربي ، فقال انهم كانوا ثلاثين مليوناً ؛ واستشهد على صحة قوله بما جاء عن الاحصائيات المصرية في التوراة وفي تاريخ هيرودوتس ، وعلى الاخص في تواريخ العرب واشار الى المصادر التي اخذ عنها فاظهر غيرة على العلم ، وسعة معارف ، و إلماماً بتاريخ الاقباط يطلق اللسان بالشكر له . على ان عدد الثلاثين مليوناً لباهظ بالنسبة الى ما تتحمله البلاد المصرية . قال اليزه ركلو الجغرافي : قد يقدرون مساحة مصر مليون كيلو متر مربع وما فيها البلاد النيلية الواقعة بين اصوان ووادي الحلفة ؛ وكانت نتيجة الاحصاء فيها ان عدد سكانها كان سنة ١٨٨٢ ٦٬٨٠٠٬٠٠٠ وهو بالظاهر قليل ولكن بالحقيقة كثير لان مصر القابلة السكنى انما مساحتها ٣٠٬٠٠٠ كيلومتر مربع . لا غير مما يجعل عدد سكانها يربو ثلاثة اضعاف على عدد سكان فرنسة او بلجكة اذا ما قابلنا التناسب بين سعة الارض القابلة العمران وبين عدد السكان .

اما الارقام الواردة في الكتاب المقدس وفي كتب المؤرخين من يونان وعرب وغيرهم فمعروف انها غير مطابقة لما كان الامر الواقع، ولم يكن علم الاحصائيات قد درج من مهده؛ وفيما يخص احصائيات التوراة فقد تعتورها مشاكل ليس من شأننا ان نحلها اليوم. ولكن حسبنا القول ان العلماء الكتبيين يفهمونها بغير معناها الحرفي البارزة فيه الينا. ف. ت.

## الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر في سنة ١٨٠١

### تأليف شفيق غربال

مطبعة المعارف، مصر، ١٩٣٢ ص ٥١، ق ٨.

حمل الافرنسيون على مصر واقاموا فيها من السنة ١٧٩٨ وكانوا، ابان اقامتهم قد قربوا اليهم الكثيرين من عمال الاتراك او المماليك سابقاً واستخدموهم في دوائر الحكومة، وعلى الاخص في جباية الاموال ومن هؤلاء الموظفين كان المسلم والمسيحي. وكان الافرنسيون بشديد الحاجة الى الاستنجاد بقوات عسكرية يعبّونها في ذات مصر فاستعانوا برجل قبطي اسمه يعقوب حنا ألفوا بواسطته جيشاً مصرياً قبطياً كان غرضه الاول حفظ الامن في البلاد لئلا تتغلب فيها عناصر الشغب اذا ما قل عدد الجنود الافرنسية. وما لبث ان تولّد في عقل يعقوب القبطي، وقد رفعه الافرنسيون الى رتبة جنرال، ان يحرر بلاده المصرية ليس فقط من عبودية الاتراك ولكن من احتلال او تدخل اي دولة كانت في الشؤون المصرية الداخلية، فوضع تصميم ذلك المشروع بمساعدة صديقه لاسكاريس واليه عهد بعد موته في تبليغ ذلك التصميم الى الدول الاوربية. وكان قد سعي في تأليف وفد للغاية ذاتها. فليست اذاً فكرة الاستقلال والوفد وليدة عصرنا. ويجدر بالذكر انه اكثر من مئة سنة قبل سعد زغلول باشا وُجد بين المصريين رجل طالب باستقلال بلاده وهذا الرجل كان مسيحياً قبطياً. وقد وضع المؤلف كتابه ليذكرنا بذلك (راجع ص ٣٨)

ف. ت.

# اهم حوادث الشرق في شهر

## ١٥ آب – ١٥ ايلول ١٩٣٢

**سورية ولبنان** – احتفلت الحكومة اللبنانية بعيد الاستقلال في ١ ايلول، وبتذكار الشهداء في ٢ منه .

* لا يزال رئيس الجمهورية اللبنانية يوالي زياراته للملحقات لاجل الاصلاح .

* انشئت مواصلات لاسلكية بين دول الانتداب الفرنسوي والهند الصينية .

* قرّر الغاء مجلس الشورى في سورية .

* قامت السلطة باعتقال بعض زعماء الكتلة الوطنية في حلب .

* عقد مطارنة الروم الارثوذكس مؤتمرًا لحلّ المشكلة البطريركية . ولكن لم يسفر عن نتيجة حاسمة .

* دُشن نهار عيد الصليب ، في دير القمر، تمثال عظيم للصليب المقدّس يبلغ طوله ١٨ مترًا منصوباً فوق اعلى قمة في تلك الجهات .

* ازيح الستار عن تمثال يوسف بك كرم في اهدن .

**مصر** – عمت المخاطبات بالتلفون اللاسلكي بين مصر واكثر بلاد العالم .

* زار القاهرة قادماً من بور سعيد جلالة امبراطور أنام .

**فلسطين** – انشأت السلطة العسكرية الانكليزية مطارًا حربياً واستحكامات في العقبة ومدّت اليها سكة حديد من بئر سبع .

**العراق** – سافر السر همفريس، المندوب السامي، من بغداد الى اوربة وغايته تأدية اعمال متعلقة بدخول العراق جمعية الامم .

**بلاد العرب** – ثبت مقتل ابن رفاده واخماد ثورته .

* عقدت معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين فرنسة ومملكة الحجاز ونجد ، وعقدت اتفاقية كذلك بين الحجاز وفرنسة نائبةً عن لبنان وسورية .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول: يوسف ماهر